الغوري والزنكلوني

الغوري والزنكلوني

محمود إمام

تاريخ

تدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٧٩٨-٠٥-٢

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٨٧٧٣

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٩

الفؤاد للنشر و التوزيع

نسعى للمعرفة

الفؤاد للنشر التوزيع

برج سانت فاتيما، أمام جنينة مول، مدينة نصر

Alfouad_publishing@hotmail.com

Facebook.com/fouadpublishing

غلاف: ميرهان عمر

تنسيق داخلي: د. بولا وجيه

الغوري والزنكلوني

محمود إمام

الفؤاد للنشر والتوزيع

قائمة المحتويات

إهداء

إلى والدي عليه رحمة الله، سامحني ياأبي أنني لم أكن موجودًا بجانبك، اللهم ارحمه رحمة واسعة واغفر له.

إلى والدتي العزيزة الغالية، كلماتي مهما كانت عاجزة عن إحصاء أفضالك عليّ، تعبتِ وعانيتِ من أجلي كثيرًا.

ولولا دعواتك لي ما استطعت أن أكون هنا الآن ربنا يعطيكِ الصحة والعافية ويجعل صبرك في ميزان حسناتك ودمتِ سندًا لي.

إلى زوجتي وأبنائي الأعزاء، أعلم كم تعبتم في غيابي، سأعمل جاهدًا لتعويضكم عما فقدتموه، دمتم سندا لي

إلى إخوتي وأصدقائي القابعين الآن في مكان ما، لاتنزعجوا ولاتكلوا وابتسموا، فإن فرج الله آت لامحالة.

محمود إمام

إهداء خاص

إلى أصدقائي وأعزائي #السطوريين
أنتم نعم الأصدقاء.. دمتم لي سنداً وقوة أستمد منها طاقتي
تعلمت منكم الكثير ومازلت أتعلم.
شكرا لكل جندي مجهول في هذا الجروب كان سندا وعونا لي في محنتي.

شكرا لكم جميعاً..

محمود إمام

مقدمة

عشنا في الجزء الأول من "حواديت المحروسة – الفيل مرزوق" مع قصص وحواديت عن أماكن وشخصيات وحواديت من عصور مختلفة. تعمدت ألا أحصر الجزء الأول في خط معين، وتنوعت فيه حتى يكون كتابًا دسمًا لعاشقي تاريخ المحروسة.

وها أنا ذا هنا في الجزء الثاني أكرر هذه التجربة، ونخوض معاً في زوارق تاريخنا سواء الفاطمي أو المملوكي أو العثماني أو التاريخ الحديث، وأيضًا عن شخصيات وأماكن وحواديت.

في هذا الجزء، حاولت أن أخفف نوعًا ما اللغة العامية الشديدة، لتكون أفضل بعد أن استمعت للنقد الذي أسعدني جدا عن الجزء الأول

هذا النقد الذي طالما دفعني بشدة لأقدم الأفضل.

أتمنى ألا تبخلوا به عليّ إذا كان هناك مايستحق النقد

أشكر كل القراء الأعزاء على اقتنائهم الجزء الأول، وأشكركم مقدمًا على ثقتكم الغالية في هذه السلسلة ودعمكم لي.

يالا بينا نغوص داخل حواديت المحروسة

محمود إمام

فضائل مصر المحروسة (٢)



فى الجزء الأول من هذه السلسلة، ذكرنا جانباً من فضائل المحروسة، والتي وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وبعض قصص الأثر، والتي أوردها ابن الكندي ونقلها عنه المقريزي، وفى هذا الجزء نذكر جانبًا آخر من هذه الفضائل، ونبدأ فيها بالآية الكريمة التي تقول:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)[1]..

وقد قال " الطبري" عن "ابن عباس": كانت بنو اسرائيل تخاف فرعون، فأُمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها.

وروى أيضا "قتادة": وذلك حين منعهم فرعون من الصلاة، فأُمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا وجوههم نحو القبلة

كما قال الله تعالى مخبرًا عن فرعون أنه قال: **(أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ)** [2]

فقد قال "ابن الحكم" عن هذه الآية: ولم يكن يومئذ في الأرض ملك أعظم من ملك مصر، وكان جميع أهل الأرضين يحتاجون إلى مصر، وأما الأنهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدبير، حتى أن الماء يجري من تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاءوا.

---

[1] سورة يونس الآية (٨٧)

[2] سورة الزخرف الآية (٥١)

وقد ذكر الله تعالى أيضًا في كتابه الكريم فضائل مصر ومحاسنها عندما قال: (كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ)[٣]..

يقول "ابن يونس" قال "أبو زهم": كانت الجنات بحافتي النيل من أوله إلى آخره من الجانبين ما بين أسوان إلى رشيد، وسبعة خلج: خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى، متصلة لاينقطع منها شيء عن شيء، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء، وكانت جميع أرض مصر كلها تروى يومئذ من ستة عشر ذراعا مالم قد دبروا من قناطرها وجسورها.

وقد قال "مجاهد وسعيد ابن جبير": المقام الكريم وهو المنابر فقد كان بها ألف منبر

وقد قال "سعيد بن كثير بن غفير": كنا بقبة الهواء عند "المأمون" لما قدم مصر فقال لنا: (لا أدري ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول " أليس لي ملك مصر"؟)

فقلت: أقول يا أمير المؤمنين؟

فقال: قل يا سعيد

فقلت: أن الذي ترى بقية مدمر، لأن الله عز وجل يقول: (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)[٤]..

---

[٣] سورة الدخان الآيات (٢٥، ٢٦، ٢٧)

[٤] سورة الأعراف الآية (١٣٧)

ومن فضائل مصر أنه كان من أهلها السحرة، وقد آمنوا جميعًا في ساعة واحدة ولا يعلم جماعة أسلمت في ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط، وكانوا كما يقول "يزيد بن أبى حبيب" وغيره: اثنا عشرة ساحرًا رؤوساء، تحت يد كل ساحر منهم عشرين عريفًا، وتحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة، فكان جميع السحرة مائتان واربعون ألفًا ومائتان واتنين وخمسون ساحرًا بالرؤساء والعرفاء.

وعن " عبد الحميد بن غنم الأشعرى" أنه قدم من الشام إلى "عبد الله بن عمرو بن العاص" فقال: ما أقدمك إلى بلادنا؟

فقال "عبد الحميد": كنت تحدثني أن مصر أسرع الأرض خرابًا، حطمها "البخت نصر" فلم يدع فيها إلا السباع والضباع، فهي اليوم أطيب الأرضين ترابًا، وأبعدها خرابًا ولا يزال فيها بركة ما دام في شيء من الأرض بركة

وأما بالنسبة لجو مصر والطقس فيها فيقال:

مصر متوسطة الدنيا، وقد سلمت من حر الإقليم الأول والثاني ومن برد الإقليم السادس والسابع، ووقعت في الإقليم الثالث فطاب هوائها، وضعف حرها وخف بردها وسلم أهلها من مشاتي الأهواز.

وقد نقل "المقريزي" عن "إبن الكندي":

أن مصر في شهر - أبيب ومسرى وتوت - تكون "لؤلؤة بيضاء" فيركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد أحيطت بها المياه من كل وجه، فلا سبيل إلى قرية من قراها إلا في زوارق، وهذا من كثرة وجود الماء وفيضان النيل

أما في أشهر – بابة وهاتور وكيهك – وتكون فيها أرض مصر "مسكة سوداء" فينكشف الماء عن أرضها فتصير أرضًا سوداء، وفى هذه الأشهر تكثر الزراعات

وأما في أشهر – طوبة وأمشير وبرمهات – فتكون مصر "زمردة خضراء" وفيها يكثر نبات الأرض وربيعها فتصير خضراء كأنها زمردة وبدايات وقلب فصل الربيع

وأما في أشهر – برمودة وبشنس وبؤونة – فتكون مصر "سبيكة حمراء" وفيها يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد كالسبيكة التي من الذهب منظرًا ومنفعة.

ومن محاسن مصر أيضًا أنه يوجد بها في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من المأكول غير موجود في الشهور الباقية فيقال:

رطب "توت"، ورمان "بابة"، وموز "هاتور"، وسمك "كيهك"، وماء "طوبة"، وخروف "أمشير"، ولبن "برمهات"، وورد "برمودة"، ونبق "بشنس"، وتين "بؤونة"، وعسل "أبيب"، وعنب "مسرى".

ومن محاسنها أيضًا أن الذي ينقطع من الفواكه في سائر البلاد أيام الشتاء يوجد في مصر.

أما بالنسبة للعلم والعلوم في مصر فقد قال "محمد الحسن بن إسماعيل بن الفرات" في أخبار مصر: أن "الخضر عليه السلام" لما جاز البحر مع موسى عليه السلام وكان مقدمًا عنده، وكان بمصر من الحكماء جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم، وكان من علومهم علم الطب، وعلم النجوم، وعلم المساحة، وعلم الهندسة، وعلم الكيمياء، ويقال كانت مصر

في الزمن الأول يسير إليها طلاب العلوم لتزكوا عقولهم، وتجود أذهانهم، ويتميز عندهم الذكاء.

وكان من أهل مصر جلساء فرعون الذين بيّن الله فضيلة عقولهم بحسن مشورتهم في أمر موسى وهارون عليهما السلام لما استشارهم فرعون في أمرهما فقال تعالى: (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ، يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ)[5]..

ومن أهل مصر "ماشطة ابنة فرعون"، وآمنت بموسى عليه السلام، فمشطها فرعون بأمشاط الحديد كما يُمشط الكتّان وهى ثابتة على إيمانها بالله.

ومن أهل مصر أيضا "امرأة فرعون" التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله جل وعلا: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[6]..

وكانت هذه بعض من فضائل مصر المحروسة

[5] سورة الشعراء الأيات (٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧)

[6] سورة التحريم الآية (١١)

أثر النبي

يا عين إن بُعد الحبيب وداره..... ونأت مرابعه وشط مزاره
فلك الهنا فلقد ظفرت بطائك..... إن لم تربه فهذه آثاره



لو مات لديك عزيز فبعض من أثره عندك قد يعوضك عن فقدانه، مش كده وبس، بل يكاد يصل الأمر لأن تسعى لاقتناء أى شيء من ريحته إذا عرفت بمكان وجوده.

فما بالنا إذا كان هذا الأثر من آثار خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

المؤرخون كلهم أجمعوا على أن مخلفات الرسول الكريم اللي موجودة في المحروسة كانت عند بني إبراهيم ودول تلقوها بالميراث عن آبائهم وأجدادهم في أجيال امتدت لزمن الرسول الكريم

وفى القرن السابع الهجري اشترى واحد اسمه "الصاحب تاج الدين ابن حنا" وده كان وزير في الوقت ده.. اشترى بعض المخلفات دي وبنى لها "رباط".. والرباط ده نوع كده من الأبنية العسكرية كان بيسكنها الجنود، وكانت الأربطة دي معروفة قبل الإسلام، لكنها زادت في بداية الإسلام قبل انتشار الدين.

المهم إن "تاج الدين" ده بنى الرباط في حتة على النيل واتعرف فيما بعد بإسم "رباط الآثار".. "وابن دقماق في كتابه "الإنتصار لواسطة عقد الأمصار" سماه "الرباط الصاحبي التاجي" نسبة إلى منشؤه واللي دلوقتي معروف بإسم "أثر النبي"

وبلغت أهمية الرباط ده ان بقى في عصر المماليك من ضمن وظائف الدولة وظيفه إسمها "شيخ الآثار النبوية"

واللي ذكرها "ابن إياس" وقال: **(وفيه توفى الشيخ ولي الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وكان قاضي ثغر دمياط وكان دينًا خيرًا، حسن السيرة لا بأس به)**

" والمقريزي" بيحكي وبيقول ان الرباط ده خارج مصر اللي هي القاهرة الفاطمية واتبنى خصيصًا لجمع المخلفات النبوية وكان بيطل على النيل وعمّره تاج الدين بجوار بستان المعشوق، والراجل مات قبل ما يكمل بنائه ووصى إنه يكمل من دخل البستان ولما تكمل عمارته يتم الوقف عليه

والمقريزي بيكمل الحكاية وبيقولنا انه اتسمى برباط الآثار لأن كان فيه قطعة خشب وحديد يقال إنها من آثار الرسول عليه الصلاة والسلام وإن الصاحب اشتراها بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني إبراهيم، وهى موجودة حتى الآن (وطبعًا إلى الآن يقصد لغاية القرن الخامس عشر ميلاديًا).. وبيتبرك بيها الناس وبيعتقدوا فيها انها بتنفع، والناس كانت بتروح تقعد هنا وتدعي ربنا لدرجة لما كانت بتيجي أوقات والنيل يشح يروحوا يقعدوا هناك ويدعوا تيمنًا بالمكان، يعني

فى عهد الملك الأشرف شعبان بن محمد بن قلاوون قرر إنه يعمل فيه مدرسة لتدريس المذهب الشافعي وجعل ليه مدرس مخصوص، أما في عهد السلطان الظاهر برقوق فالراجل اشترى جنبه حتة أرض وقف عشان يتعمل عليها كوبري يوصل الرباط بخزانة الكتب

اما بقى محتويات الأثر نفسه، فبينما قال "المقريزي" انه يحتوي على "قطعة خشب وحديد" بس. ابن دقماق إختلف معاه وقال انها قطعة من العنزة يعني "الحربة القصيرة"، وقطعة من قصعة ومرود وملقط

أما "ابن كثير" فبيقول: (**وبلغني أن بالديار المصرية مزار فيه أشياء من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين، فمن مكحلة وميل ومشط وغير ذلك، والله أعلم**)

وينقل لنا "أحمد تيمور" عن "برهان الحلبي" اللي بيقول ان الرباط عبارة عن خزانة خشب وعليها ستور فوق بعضها وجوه الخزانة علبة صغيرة محجوز في الآثار الشريفة.. قطعة من قصعة وقطعة من عنزة وميل من نحاس أصفر وبيوصف الحلبي جماله وبيقول اننا زرناه كتير وكان جميل جدا في غاية الروعة

أما الرحالة "ابن بطوطة" اللي أتى إلى مصر في القرن التامن الهجري فوصف الرباط وقال انه بات ليلة قرب الرباط، وإنه بناء عظيم وفى آثار كريمة زي قصعة الرسول والميل اللي كان بيكتحل بيه ومصحف أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب اللي بخط إيده، وقال ان الصاحب تاج الدين اشترى الآثار دي بمائة ألف درهم وبنى الرباط وجعل فيه طعام للناس العابرة.

وفى عهد قريب شوية، وبالأخص في القرن الحادي عشر الهجري، ذكر "جلال الدين السيوطي" ان بعد تعاقب الحكام والممالك والمصلين والوافدين عليه كتروا بقى فخافوا عليه من السرقة، فنقلوا اللي فيه واتغيرت ملامحه لما اتجدد بنائه على إيد "إبراهيم باشا الدفتردار" اللي كان والي على مصر في عهد العثمانيين في سنة ١٠٧١ هـ

ثم يختم " الجبرتي" في رائعته "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" قصة أثر النبي وبيقول ان في القرن الثالث عشر الهجري كان الرباط في خراب لحد ما جاء واحد إسمه "محمود حسن بزرجان" وعمّر القصر والمسجد اللي فيه الرباط على وضعه القديم، وفضل كما هو حتى الأن.

وتفضل منطقة أثر النبي فيها الرباط العظيم ده، واللي احتوى بإجماع المؤرخين على بعض مخلفات النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وتبقى من أهم المناطق الأثرية اللي حظيت بها المحروسة.

الإخشيد في مصر



عن أحد الحكام اللي وصلوا لعرش مصر، وانا شايف انه يستحق اننا نحكي عنه، بس نرجع فلاش باك لمصر الطولونية، وكنت حكيت في الجزء الأول عن "أحمد بن طولون" الرجل ذو الأصل التركي اللي جاء إلى مصر وعمل امبراطورية على صغير وشبه استقل بمصر

احمد ابن طولون عرف يسيطر على الأمور ويصارع الدولة العباسية، ويبقى تحت جناحها وفى نفس الوقت ياخد الحكم لأسرته من بعده بموافقة العباسيين، والدولة الطولونية قعدت قرب الـ ٤٠ سنة من أب لإبن لحفيد، لحد ما ضعفت وانهارت، فاستغل العباسيون الفرصة ورجعوا تاني ومسكوها، وقعدنا كده لحد ما ظهر خطر الفاطميين في المغرب وابتدوا يطمعوا في الوصول لمصر، واحنا دلوقتي بنتكلم على عصر العباسيين التاني اللي كله صراعات وضعف

نبدأ من عند "خمارويه بن احمد ابن طولون" اللي كان عنده وسط قواده ومماليكه راجل عسكرى بارع واسمه "طغج بن جف" وكان الراجل ده من حتة اسمها "فرغانة" في بلاد ما وراء النهر، وطغج ده كان من أشد المخلصين لخمارويه، لكن لما اتقتل وابنه مسك مكانه، طغج ماستحملش يقعد مع ابن خمارويه، وخد ابنه محمد ورجع على العراق، ووصل الخبر للخليفة العباسي اللي بعت لطغج عشان يفهم منه أسرار الحكم في مصر وكده، لكن واضح ان طغج ماكنش عايز يشتغل شغلانة الجواسيس دي ورفض، راح الخليفة ريح نفسه وأمر بحبس طغج وابنه محمد، وبعدها بفترة مات طغج في السجن وأفرجوا عن ابنه الشاب بمجيء الخليفة الجديد

محمد كان بدأ يبقى عنده وعى وفهم انه مش لازم يعادي الخليفة، واقترب منه، وبالفعل بعته الخليفة مصر اللي كان عايش فيها مع أبوه، وخلاه يشتغل

مع أميرها "أبو منصور تكين"، وبقى من رجاله المقربين، وأظهر كفاءة، خصوصًا لما الفاطميين بدأو يتحركوا في اتجاه الشرق، ووصلوا تونس واتجهوا لليبيا، ولما قربوا من الإسكندرية بعتلهم الخليفة محمد علي رأس جيش كبير وقدر يدحرهم، والكلام ده كان سنة ٣١٩ هجرياً. لما رجع محمد لمصر، "تكين" قلق منه بسبب بزوغ نجمه، وحصلت شوية مشاكل بينهم على أثرها سحب الخليفة محمد بن طغج للشام، المهم بعدها مسك الحكم واحد اسمه الأمير "أحمد بن كيغلغ" اللي الخليفة عزله وعين مكانه "محمد ابن طغج"، لكن احمد بن كيغلغ موافقش وقرر انه يحارب محمد ابن طغج اللي قابله بجيش كبير في العريش وهُزم بن كيغلغ هزيمة منكرة، ونجح ابن طغج في الوصول لعرش مصر

فى سنة ٣٢٣هجريا يصبح أبو بكر محمد بن طغج أمير مصر ويلقبه الخليفة "الراضي بالله" بالـ (الإخشيد) ودي كلمه فرغانية الأصل زي طغج ومعناها "ملك الملوك"، ومن هنا يبدأ عصر الدولة الإخشيدية على يد الإخشيد محمد بن طغج اللي هيدخل بمراكبه وقواته في نيل دمياط والناس تتخض من المنظر المهيب. ولكن السؤال كيف استقبله المصريون؟

استقبلوه بكل ترحاب وعبروا عن مشاعرهم الودية، لأن الإخشيد أصلًا مكنش غريب عنهم وكانوا عارفينه من أيام ماكان تحت إمرة ابو منصور تكين وعارفين أخلاقه، وكان معروف انه مش سفاك للدماء، فالناس اطمئنت له، لكن ده مايمنعش انه لما دخل الفسطاط والعسكر والقطائع اللي بقوا قطعة واحدة دخل في موكب مهيب مكون من ٤٠٠ ألف جندي.

ورغم ان كان فيه حالة نهب وسرقة شغالة في كل حتة، إلا ان الإخشيد أعطى أوامر بوقف المسخرة دي، وبما إن الإخشيد حافظ مصر عشان كان عايش فيها، فمكنش عنده مشكلة في تحقيق الأمن والاستقرار فيها بسرعة.
وعشان يتميز شوية، كان عارف ان مسجد احمد ابن طولون هو اللي واكل الجو، فقرر يغير الحكاية دي ويرجع يهتم مرة تانية بمسجد عمرو بن العاص مسجد عمرو ابن العاص، أول مسجد في مصر، كان تم اهماله على حساب مسجد ابن طولون، قام الإخشيد اشترى له حصر ناعمة للأرضية، وأمر يتعلق له مصابيح اكتر ويرشوا العطر في أرجائه اثناء الصلاة، وبقى يصلي فيه ويحضر اخر ليلة في رمضان فيه، ويصلي العيد كمان فيه، وكان بيحاول يقلد ابن طولون ويروح يصلي في موكب مهيب ويمر قدام دار الإمارة ويحيي الناس ويشاورلهم ويقعد بين الشعب في صحن المسجد يستمع إلى شكاويهم، ويظهر ان الحركة دي عملت شعبية للإخشيد، جعلت عبده كافور لما يمسك الحكم يعمل زيه.
اللطيف بقى ان "سيبويه المصري"، احد ظرفاء المصريين في العصر ده، كان بيتضايق جدا من المنظر ده، وفى يوم جمعة كان الموكب بتاع الإخشيد معدي عشان يروح يصلي، فسيبويه سأل في ايه؟ فقالوا له ان ده موكب الإخشيد، قام رد على طول وهو مخنوق:

هذه للأصلع البطين قطع الله منه الوتين

أما كان يكفيه صاحب ولا صاحبان ولا حاجب ولا حاجبان

لا قبل الله له صلاة، ولا قرب له زكاة، وعمّر بجثته القلاة

طب الإخشيد بقى عمل ايه اول ما مسك الحكم غيرالمواكب؟ الحقيقة انه دخل في حربين اثناء مدة حكمه، لكن اثناء ما كان بيفضى من الحروب كان بيحاول يعمر ويبني.

جزيرة الروضة مثلا مكنش اسمها كده، وكانوا مسمينها "دار الصناعة"، وكانت بتتعمل فيها المراكب وفيها أحواض لمبيت السفن، ولما الإخشيد كان مساعد لأبو منصور تكين وزار المكان ده، قال لو ربنا مكنني هاعمل تغييرات في المكان ده، واعمل دار صناعة للسفن الكبيرة في بيت أرملة ابن طولون. وبالفعل افتكر الموضوع ده وبعت رجالته لمنزل أرملة ابن طولون اللي كانت ماتت، بس رجالته لقوا الخادمة هناك. الست مسكت فيهم وحلفت انها لازم تقابل الإخشيد الأول.

الإخشيد قالهم هاتوها، ولما حضرت قالت له قبل ما تهدوا البيت لازم تبعت رجالتك ياخدوا الأمانة الكبيرة اللي عندي، وبالفعل بعت الإخشيد رجالته والست سلمتهم زكايب فلوس وجواهر لا حصر لها، ولما رجعوا الحرس بالحاجات دي للأخشيد شافها واستعجب جدا وقالهم هاتوا الست دي عشان نعرف الفلوس دي بتاعة ايه؟ ولما رجعوا ملاقوش الست ولا ليها أثر، والواقعة دي حقيقية بدون مبالغات.

الإخشيد كان محظوظ وربنا رزقه بنعمة حكم مصر، فقرر يصون هذه النعمة والبلد انتعشت اقتصاديا، ورغم كل الفلوس دي إلا إنه كان راجل حريص، ولما غيّر مكان دار الصناعه بتاعة السفن وعمل الجديدة مكان دار أرملة ابن طولون قرر في المكان القديم يعمل بستان كبير ومفتخر وقرر يسميه "المختار"

المهندسين قالوا له إن البستان هيتكلف ٣٠ ألف دينار واعترض على المبلغ لغاية ماوصلوا لـ ٥ آلاف بس.
ويقال ان البستان دا كان تحفة في زمانه، وكان بيتباهى بيه وسط ضيوفه، خصوصا القادمين من العراق مسقط رأسه. ولمن لا يعلم، نقول بقى ان جزيرة الروضة كانت هى الحديقة الغناء بتاعة القاهرة، وشجرها وجوها وهدوئها كان دايما بيشجع الحكام يسكنوها للإستجمام، وأشهرهم بعدين "الصالح نجم الدين أيوب" أشهر حكام الدولة الأيوبية، واللي هيهتم بجزيره الروضة جدا ويبني لنفسه قلعة ويربى مماليكه هناك، وكنا اتكلمنا عنها في الجزء الأول من السلسلة (جزيرة الروضة)
لكن المعلومة اللي مكنتش اعرفها وأديني عرفتها ان جزيرة الروضة كان فيها جسر بيربطها بمصر القديمة والفسطاط، بس كمان كان في جسر تاني يربطها بالجيزة، ودا كان من قبل الإخشيد، جسور ومش معديات وبس ومراكب.
المهم ان البستان دا فضل لفترة طويلة لحد ما جم الفاطميين والمعز لدين الله ومن بعده ابنه العزيز بالله، كانوا بيحبوا يتفسحوا في البستان المختار، وقعد المتنزه ده لحد المستنصر بالله واتخرب أثناء الشدة المستنصرية، واتنهب ثماره وأشجاره، وبعدين جدده "بدر الدين الجمالي" لما جه مصر، وبعدين أثاره اندثرت بمجيء الأيوبيين.
الإخشيد كمان بنى "قيساريات"، والقيسارية دي معناها السوق الكبير، وازدهرت في عصره وعصر اللي بعده صناعة المنسوجات والخزف والأخشاب والتجارة كانت في عزها، والزراعة فضلت زي ماهي مصدر الدخل الأول في الدولة.

وفى عصر الإخشيد كانت الحالة العلمية والثقافية كويسة، وظهر مؤرخون وشيوخ وفقهاء ومحدثون وأدباء وشعراء، وبقت الحياة جميلة، خصوصًا في عهد كافور.

كافور الإخشيدي اللي كان عبد وتلميذ الإخشيد، وبقى الوصي على أولاده من بعده، كان كريم ومسرف بشكل رهيب، ففتح بلاطه للشعراء والأدباء والمريدين، وكان بيبدر في الفلوس شمال ويمين، فاتلم حواليه الطامعين واللي عايزين ياخدوا هدايا وعطايا، وأشهر الأسماء في هذا العصر كان "المتنبي".

ونرجع تاني للإخشيد اللي هيقرر يمشي بالمسطرة ورا خطة أحمد بن طولون، اللي بعد ما مسك الحكم سيطر وقرر يورثه لعياله وياخد موافقة العباسيين.

ابن طولون حارب العباسيين شوية ورخموا على بعض شوية، إنما الإخشيد جاب م الأخر وأظهر كل الولاء وقالهم الفلوس اللي تطلبوها، ومش بس كده ده بقى جيشه كله تحت أمر العباسيين في أي طلعة حربية، وكان الإتفاق على إن الخليفة يخلع على الإخشيد ولاية مصر مقابل خراج كل سنة والدعاء للخليفة على المنابر وسك العملة بإسمه والمدد وقت الزنقات، وفى المقابل الإخشيد يستقل بأمور مصر ومحدش يقرفه في إسلوب إدارته، وكمان ياخد البيعة لإبنه من بعده، وتم الاتفاق على ذلك مع الخليفة.

يوم الإعلان عن الاتفاق اتعلقت الزينة في كل حتة، ومشي الجيش في موكبه العظيم، ومصر كلها سهرت للفجر واتوزعت العطايا والفلوس على الغلابة في الشوارع، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

عشان في سنة ٣٢٨هجريا هيظهر خطر جاي من العراق ممثلاً في واحد اسمه "إبن رائق" اللي هيخش الشام، والشام في الوقت ده كانت (وما زالت والله)

ظهير لمصر اللي يمسك دي لازم يضم دي والعكس، كان في الشام مدن تابعة تماما لمصر، وبالتالي للإخشيد

قام بعد ما وصل ابن رائق لدمشق والإخشيد بقى منظره مش حلو، راح طالع له بالجيش وبعت له يفهمه أنه مش هيسمح له يخش مصر وياخدها.

ابن رائق مهتمش والعند ركبه والإخشيد جهز العدة والرجال، وابن رائق يعدي الرملة في فلسطين ويدخل على سيناء ومنها على العريش، واتقابلوا في الفرما وحصلت عركة جامدة كاد الإخشيد ان يخسرها بسبب ميمنة جيشه اللي كانت ضعيفه شوية. لكن الإخشيد ثبت ورابط ودخل هجم على عسكر ابن رائق وبهدلهم وقتل منهم عدد محترم، واتأسر يومها ٥٠٠ من جيش ابن رائق اللي تراجع بعد العلقة دي، واتفرق الجمعان كله بيدور على جراحه ويشوف مين مات ومين عاش.

الإخشيد استعاد الرملة ورجع بالـ ٥٠٠ أسير مع الجيش بتاعه وبيدور ويسأل عن أخوه "الحسين بن طغج" ملاقهوش.

في المعسكر التاني حدث الآتي: ابن رائق دخل عليه قائد جنده بالخبر اللي هو احنا لقينا جثة الحسين بن طغج أخو الإخشيد وسط الجثث بتاعتنا يامولانا فماذا نحن فاعلون؟

ابن رائق وشه جاب ألوان، ويبدو ان سمعة الإخشيد كرجل قوي ومش بيسيب حقه، خصوصًا في الدم، كانت واصلة لابن رائق اللي خاف واتهز وقرر يلحق نفسه وعمل الآتي.. في الأول أمر بتحنيط جثة الحسين وتكفينها، وبعدين قام باعتها مع ابنه "مزاحم" برساله للاخشيد ونصها فيما معناه ابني مكان أخوك، حاجه كده زي اللي بيشيل كفنه ويروح لعدوه عشان يسامحه.

المهم ان مزاحم سمع كلام الأب وراح بالجثة للأخشيد ودخل عليه وهو بيتشاهد، والإخشيد قرأ الرسالة طبعا واتصرف كما ينبغي لملك وأمير وعفا عن مزاحم وسابه يمشي، وأخد جثة أخوه، وبعدين الحركة دي جعلت ولاد الحلال يتدخلوا ويصالحوا ابن رائق على الإخشيد ويحقنوا الدماء ويفرج كل طرف عن أسرى الآخر. وفعلًا ده اللي حصل، واتفق الخصيمان على أن تبقى الأراضي حتى الرملة تابعة الإخشيد، ويترك الشام لابن رائق، وبقوا حبايب لحد ما ظهرت مشكلة تانية للإخشيد بعدها بكام سنة، وبردوا كان في الشام، والمرة دي مع "سيف الدولة الحمداني" شخصيا، واللي اتعارك مع الإخشيد وتم الصلح المبدئي وتقسيم مناطق النفوذ، وبعد شوية سيف الدولة غيّر اتفاقه وقرر يتجه بجنده لمصر، فالإخشيد استنفر جيشه وقواده وعسكره وخرج معاه كافور وابن فاتك، أكبر قواده، وخرج على رأس جيش لملاقاة سيف الدولة في الشام، ومسك المظفر بن طغج أخوه الصغير حكم مصر بالنيابة. اتقابل الجيشان في حتة اسمها "قنسرين"، والإخشيد هزم جيش بني حمدان هزيمة منكرة وخلاهم يتراجعوا، وأخد دمشق بسهولة عشان الشوام كانوا بيكرهوا سيف الدولة وماكانوش عايزينه، وانصار الإخشيد ساعدوه لحد ماوصل حلب، وكده خلاص الشام رجعت له.

سيف الدولة تخاذل واتدخلوا ولاد الحلال تاني للصلح، قام سيف الدولة وافق صاغرا وقسموا مناطق النفوذ، ومش بس كدا، دول عملوا زي ملوك اوروبا في العصور الوسطى وعملوا الهدنة على ورقة جواز، وسيف الدولة اتجوز بنت أخو الإخشيد وخلاص عدو الأمس بقى نسيب اليوم وخلاص الدنيا هديت.

۞ ۞ ۞

في عودة الإخشيد لدمشق مرض ورقد، وفي سنة ٣٣٤هجريا يطلع السر الإلهي ويموت الإخشيد في دمشق عن عمر يعدي الـ٦٠ عام، وينقلوا جثمانه على بيت المقدس عشان يندفن في مقبرة مخصوص بناها هناك ووصى إنه يندفن فيها..

وبعد ما يندفن المفروض تنتقل السلطة إلى الوريث ابنه الأكبر "أبو القاسم انوجور" اللي كان مراهق صغير؛ وكافور، عبد الإخشيد الخصي، بقى هو الوصي عليه.

اللطيف بقى أن أول ما اتعرف خبر موت الإخشيد حصل هرج ومرج والرعاع والدهماء ثارت وجريت على بستانه في الروضة ونهبته وجريوا على الخزاين عشان ينهبوها باللي فيها

اللطيف اكتر ان كافور كان لسه في طريق الرجوع لمصر، ولما رجع طبعًا ضرب بإيد من حديد على كل العالم دي، بس قعد يضحك، ولما سألوه ازاي تضحك والفلوس منهوبة طبعا مردش، بس احد المقربين له بعدين حكى ان كافور حكى له ازاي ان الإخشيد كان راجل داهية وذكي جدا، ولما كان كافور المساعد بتاعه ودراعه اليمين قاله متحطش الفلوس بتاعة البلد وبتاعتنا كلها في مكان واحد وتبقى عرضة للنهب، انت تحطها في زكايب وفى مكان مهمل عشان محدش يلتفت لها ويسرقها

وفعلا دا اللي كافور عمله أول لما مات سيده الإخشيد، على طول بعت الأعوان سرا، واللي رموا الفلوس في البركة اللي جنب دار الإمارة.

الغوغاء دخلوا على الدار سرقوها ونهبوا شوية الفكة واللي لاقوه ومشيوا، ولما رجع كافور شال الزكايب من مكانها.

كافور دا كان حدوتة لوحده، بس يكفي أدلل على مدى الغنى والخير اللي كان في مصر وقتها ان كافور لما مات قدروا قيمة أملاكه وتحفه وجواهره بالظبط بـ٦٠٠ ألف ألف دينار، ده غير اللي صرفه على نفسه وعلى البلد وعلى اللي حواليه في حياته.

ونرجع للإخشيد اللي كان مؤسس الدولة، اللي ضعفت بعد ما راحت لولديه تحت وصاية كافور اللي طمع في العرش، وحكم من وراهم، ويقال انه قتلهم. وبعدين مات كافور ومسك حفيد الإخشيد اللي كان أضعف من إنه يقف في وش النفوذ الفاطمي والبلد اتدهورت لحد مابقت جاهزة لمجيء جوهر الصقلي لغزوها.

اللطيف بقى في سيرة الإخشيد ان الناس في زمنه كانت حالتها شبه أيامنا كدا، والمؤرخين بيقولوا كان المجتمع طبقتين، طبقة غنية غنى فاحش وزي مليونيرات كده، وطبقة كادحة وغلابة بتتفرج على الطبق التانية دي وترضى بالعطايا والهبات منهم وقت المناسبات والاعياد.. إلخ، وكانوا عايشين في هدوء نوعا ما وبيعتبروا الإخشيد أرحم ألف مرة من العباسيين وولاتهم اللي كانوا ماصين دم الناس ومبهدلينهم، وكان فعلا الإخشيد أحن عليهم من أي حد تاني، يعني تقدروا تقولوا كده أحسن الوحشين، والراجل كان عايش في مصر ومتربي فيها وعارف تقاليدنا ومغيرهاش، ولما واحد من الرحالة في عهد الإخشيد زار مصر بيوصف مناسبة عاصرها لما كان بالصدفة في البلد وقتها وهي ليلة "عيد الغطاس" وبيقول نصا: **(لليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها)**

وبيحكي ازاي ان الإخشيد وقتها أمر بإضاءة جزء من جزيرة الروضة وأمر بـ١٠٠٠ مشعل اتوزعوا على شط الفسطاط وشط جزيرة الروضة وبقت

الانوار بتضوي في الليل والمشهد ساحر، وقال انه شاف المصريين جميعهم مش بس الأقباط. كل المصريين كانوا في الشوارع والمراكب وسهرانين وبيغنوا وياكلوا ويرقصوا والبهجة في كل حتة وقال بالنص: (**وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق بها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويدعون أنه أمان من المرض**)

والأقباط في زمن الإخشيد اتعاملوا معاملة كويسة واشتغلوا بالمناصب العليا وحالتهم المادية كانت تمام، وده كان عكس فترات كتيرة سابقة ولاحقة. ومش بس الاقباط، كان في طبقة الموظفين بتوع الدولة كانوا اغنياء وثراءهم فاحش منهم "الماذرائى" ودا حدوتة لوحده نبقى نقولها في الجزء التالت ان شاء الله لكن الملخص إنه كان قارون عصره.

الحالة العلمية كانت كويسة، وجامع عمرو اللي كان الجامعة وقتها (مكنش الأزهر لسه اتبنى) وكان فيه الأربع مذاهب، مش بالتساوي صحيح لأن المالكية والشافعية غلبوا، لكن المذاهب كانت بتتدرس كلها وصحن جامع عمرو شاف سجالات وجدال لدرجة انه في وقت من الأوقات الإخشيد معرفش يلم الدور ازاي راح لم الحصر والوسائد اللي بيتكئوا عليها وأعطى أمر بقفل جامع عمرو إلا في اوقات الصلاة فقط، منعا للمصادمات.

كتب التاريخ بتقول ان في زمن الإخشيد كانت مصر عتيقة والعسكر والقطائع فيهم ٣٦ ألف مسجد و٨ألاف شارع مسلوك و١١٧٠ حمام، ولنا هنا وقفة!!

زي ماقولنا الحالة العامة لمصر أيام الإخشيد كانت بخير رغم خوض حربين ورغم خراج كل سنة للدولة العباسية ورغم خطر الفاطميين، لكن البلد كان فيها خير ودلع لدرجة ان في الزمن ده كان في ١١٧٠ حمام!!

بس هنعتبر ان ده مش غريب قوي نظرا لان زي ماقولنا التجارة كانت مزدهرة والرجل كانت رايحة جاية عليها والسياحة شغالة بالتبعية

تقريبا القصة خلصت، بس فاضل نقول ان كل الهيصة اللي كان فيها الإخشيد ومن بعده ولاده وكافور مساعده والحفيد، كل ده اندثر وراح بمجيء الفاطميين ومفضلش من قصورهم وبساتينهم ومنشآتهم أي حاجة إلا شارع في المنيل بإسم "الإخشيد" أهل المنيل يعرفوه وشارع المختار

ومات محمد بن طغج بن جف الملقب بالإخشيد بعد ان حكم مصر من ٣٢٣ الى ٣٣٤هجريا، يعني ١١ سنة من وسط الـ ٣٥ سنة اللي هما عمر الدولة الإخشيدية في مصر

الإخشيد الذي ولد في العراق وعاش بمصر ومات في دمشق ودُفن في القدس.

الفاطميون وصلاة العيد



العادات والتقاليد واحدة من موروثات الشعب المصري اللي فضل يحافظ عليها رغم مرور القرون على ابتداعها، خاصة لو كانت العادات دي مرتبطة بمناسبات معينة دينية مثلا أو قومية، تلاقوا الشعب دايما يبدع في الاحتفال بيها زي احتفال "عاشوراء" اللي اتكلمنا عنه في الجزء الأول من السلسلة دي

أما هنا هنتكلم عن احتفال تاني مهم جدا في حياتنا كمصريين عموما وكمسلمين على وجه الخصوص ألا وهو "عيد الفطر" وصلاته وازاي كان موجود في عصر الفاطميين اللي معروف عنهم انهم كانوا أهل بدع واحتفالات وكانوا حريصين جدا على ابتداع مناسبات والاحتفال مع الشعب بالمناسبات الدينية عشان يحببوا الشعب المصري فيهم، والشعب المصري حبهم أه لكن متأثرش بيهم مذهبيا وفضل حتى الآن سني المذهب شيعي الهوى بحبه لآل البيت.

وهنبدأ من شهر رمضان اللي فيه كان الخليفة الفاطمي بينزل يصلي الجمعة الأولى والتانية والتالتة في مسجد الحاكم ومسجد الأزهر، أما الجمعة الرابعة أو الجمعة اليتيمة فكان بيصليها دايما في مسجد عمرو بن العاص في القاهرة العتيقة أو الفسطاط، العاصمة الأولى لمصر، وطبعا صلاة الجمعة لوحدها كانت مصحوبة بعادات معينة، فمثلا كان في خزانة تسمى "خزانة البخور".. أه وربنا اسمها كده، ودي كان بيصرف منها البخور اللي بيتبخر بيه المنبر اللي بيقف عليه الخليفة، وكانوا بيفرشوا المسجد بفرش من الحرير بنوع إسمه "الحرير الديبقي" وبيتعلق على جانبي المحراب سترتين مكتوب عليهم بالحرير الأحمر بعض من السور القصيرة من القرآن الكريم، وبيخرج الخليفة بملابسه البيضا بدون ذهب توقيرا لصلاة الجمعة في موكب عظيم

وعلى الجانبين موكب الحراس ماشيين يقرأوا قرآن بصوت عالي لغاية مايدخلوا المسجد، ويقعد الخليفة في قاعه الخطابة اللي بتكون جاهزة لاستقباله، وبعد الصلاة بيتذاع بلاغ رسمي يعرف بإسم "سجل البشارة" وزي ما الخلفاء الفاطميين اهتموا بطقوس شهر رمضان، اهتموا كمان بختامه وبالغوا في الاحتفال بيه، خصوصا انهم بيعتبروا موسم عيد الفطر من المناسبات المهمة عندهم وبيسموه "عيد الحلل"، وكانوا بيوزعوا فيه الكسوة على الناس كلها عادي، وكانت تكاليف ونفقات عيد الفطر كبيرة جدا لدرجة انها وصلت في القرن السادس الميلادي لحوالي عشرين ألف دينار، والحلل (اللي هى مقصود بيها الثياب) كانت بتتصنع في دار مخصوصة للحاجة دي في منطقة "تنيس" و"دمياط" و"الإسكندرية" وهي دار تبع الدولة خاصة بالكسوة فقط، وكانت بتتوزع على الناس في ليلة العيد.

كمان كان في دار اسمها "دار الفطرة" ودي بتقوم بتجهيز الحلويات سواء الكحك وكعب الغزال، والغريب ان تجهيز الحلويات بتاعة العيد دي كان بيبدأ من نص شهر رجب وكانت ميزانيتها حوالي ١٦ ألف دينار بتتصرف على لوازم الحلويات سواء بشراء الدقيق والسكر واللوز والفستق والسمسم والعسل وماء الورد والمسك والكافور، أو للفرش اللي بيجهزوا بيه " السماط" (المائدة يعني).

أما بالنسبة للاحتفال بعيد الفطر، فكان بيبدأ من الليلة الأخيرة من شهر رمضان، وفيها بيستدعي الخليفة المقرئين عشان يرتلوا القرآن من الفاتحة وحتى ختام القرآن بأحلى الأصوات وأعذبها، وبعدها ييجي الخطباء ويكبر المؤذنون ويهللوا وينشدوا الأدعية والتواشيح الصوفية، وبعدها تبدأ فقرة

توزيع الأموال من الخليفة من شباك القصر ويرمي عليهم الدنانير والدراهم، ويوزع عليهم القطايف والحلويات ولبس العيد.

بعدها ينتقل الخليفة لقاعة الذهب ويجلس في الإيوان وسط القاعة، وعلى يمينه الوزير، وده أعلى منصب في الدولة وقتها "والمقريزي" كان بيعتبره تاني منصب بعد الخليفة، وبيسميه " أحد الأستاذين".

بعد كده الخليفة يتعرض عليه عرض زي العرض العسكري كده عبارة عن الدواب اللي ماشيين معاهم الفرسان بأفخم الملابس، ولما ينتهى العرض يرجع المقرئون يتلوا أيات من الذكر الحكيم زي: (**زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**)..

سورة آل عمران (الآية ١٤)

أما بقى في صباح يوم العيد، بيخرج الخليفة والحاشية بتاعته والجند عشان يصلوا العيد في مصلى مخصص لهذا الغرض.. والمقريزي بيوصفه وبيقول: **(وكان في شرق القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر – أحد أبواب القاهرة– وهذا المصلى بناه القائد جوهر لأجل صلاة العيد سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ثم جدده العزيز بالله، وقد بقي جزء منها إلى القرن الخامس عشر الميلادي)**

وهو مكان كبير مكشوف مبني على مكان عالي ومتحاوط بسور عليه برج وقدامه المحراب اللي بيرتفع عن المنبر والارض ٣٠ درجة، وفوقه مكان عشان يقعد عليه الخطيب.

قبل صلاة العيد بقى كان في حاجات بتتجهز وبيقوم بيها مسؤلين في الدولة عشان يطلع على أجمل وجه وتليق بصلاة العيد وبالخليفة، وهنا هاسيبكم

مع المقريزي مرة تانية عشان تسمعوا منه الوصف التفصيلي لأهم مظاهر الاستعدادات، حيث يقول: (**فإذا أكمل رمضان وهو عندهم ثلاثون يوما – حيث أن الفاطميين كانوا يعتبرون شهر رمضان دائما ثلاثون يوما – فإذا كان اليوم من شوال سار صاحب بيت المال (وزير الخزانة) الى المصلى خارج باب النصر وفرش السجاد بمحراب المصلى ويعلق سترين يمنة ويسرة مرقوم في الأيمن الفاتحة وسورة سبح اسم ربك الأعلى، وفى الأيسر منقوش الفاتحة وسورة هل أتاك حديث الغاشية)**

وبعد ما تمت الاستعدادات خلاص، بيخرج الوزير من بيته ومعاه كبار رجال الدولة ويروحوا على القصر الكبير وينتظروا خروج الخليفة في موكب مهيب زي موكب رؤيا رمضان، وملابس الخليفة بتكون بيضا مطرزة بالذهب والفضة، ويخرج من باب مخصص في القصر اسمه "باب العيد" والعساكر حواليه ع الصفين من باب القصر- اللي مكانه حاليا منطقة الصاغه في شارع المعز- ويفضل ماشى لغاية باب النصر، وبعدين يدخل المصلى من باب له مخصوص يستريح شوية ثم يروح على المحراب وراه الوزير والقاضي ويصلي العيد ويقرا في الركعة الأولى اللي مكتوب على الستر الأيمن (سورة الفاتحة والأعلى) وفي الركعة التانية يقرا اللي مكتوب على الستر الأيسر (سورة الفاتحة والغاشية)

وبعد ما تنتهي الصلاة، يطلع على المنبر حتى يصل الى قمته، ويقعد على الفرش المخصص له من الحرير عشان يلقي خطبة العيد، وتحت المنبر بيقف الوزير وقاضي القضاه، وقبل القاء الخطبة بيشالور لوزيره اللي بيطلع يبوس إيده ويقف على يمينه، وبعدها يطلع قاضي القضاه عشان يسلمه الخطبة المكتوبة، وبتكون متجهزة مسبقا في دار إسمها "ديوان الإنشاء"، وطبعا

بتكون اتعرضت على الخليفة قبل ما ياخدها يوم العيد. بعد ما الناس تسكت، يبدأ يلقي الخطبة، وبعد الانتهاء يخلوا له المنبر عشان ينزل ويخرج من المكان اللي دخل منه، ويرجع تاني بنفس الشكل ونفس الموكب، ويدخل القصر من باب العيد ويقعد في الديوان ويتقدم له السماط اللي بيكون عبارة عن حلوى وكحك، وكل مسئولى الدولة بياكلوا معاه بدون أي حرج، بعدها بيخرج الخليفة لقاعة الذهب جوه القصر واللي فيها مقر اقامته وبيكون فيها سماط تاني بس بتكون القعدة على الضيق، يعني الوزير وبعض الأمراء القليلين ويقعدوا ياكلوا لغاية صلاة الضهر

بعدها الوزير بيمشي والخليفة بيصدر أمر بإذاعة "سجل عيد الفطر"، والسجل ده عباره عن بيان بيلقيه واحد من الأمراء بيبدأ بالدعاء للخليفة، ويبين ازاي قام بصلاة العيد على عادة ابائه واجداده، ويبين كمان فضل وثواب زكاة عيد الفطر وينتهى السجل بالديباجة دي: (**أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن إليه وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا في معرفته، ويشكروا الله عليه، فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله**)

وطبعا هي صلاة العيد في مصلى مخصوص عامة كانت تقليد جميل بيفرّح الناس والعامة وهو الاحساس الحقيقي بالعيد، ولغاية دلوقتي بعض الأقاليم في مصر حريصة على وجود أماكن مخصصة لصلاة العيد، فمثلا في أسوان يوجد مصلى خاص بالعيدين، والمصلى ده موجود على ربوة عالية في جنوب شرق أسوان ومعروفة بإسم "مصلى الصالحون" ولغاية دلوقتي بيصلوا فيها العيدين، وبعض المؤرخين بيقولوا ان في شبه كبير بينها وبين المصلى اللي أقامه "جوهر الصقلي" برا باب النصر، واللي كان موجود حتى القرن التاسع الهجري زي ما بيقول المقريزي

ودي كانت صلاة العيد في العصر الفاطمي اللي كان مشهور جدا بالاحتفالات والمناسبات، واللي دايما يشارك فيها الخليفة أهل القاهرة اللي كانت مقفولة على نفسها طول فترة حكم الفاطميين.

أما الآن.. فحدّث ولا حرج.

☪ ☪ ☪

أسبلة المحروسة

(وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا)

صدق الله العظيم

فى أحد شوارع مصر المزدحمة، والناس بتنشف عرقها وأحدهم يقول عطشان يا صبايا دلوني على "السبيل"

فنون ورحمات وحاجات كلها اجتمعت في شيء واحد وبناء يضمها واسمه "السبيل"

ونبتدي ونقول أن أقدم سبيل عرفه البشر كان بير زمزم اللي إتفجر تحت رجلين سيدنا إسماعيل عليه السلام وستنا هاجر.. أما أقدم شخص في تاريخنا الإسلامي عمل سبيل للناس فكان سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه لما اشترى بئر من الكفار وخلاها للمسلمين يشربوا منها..

وأكيد مش محتاجين اقولكم ازاي المية باعتبارها أكسير الحياة كان توفرها هو أصل كل تحضر وحياة، وسقاية العطشان كان لها الثواب الكبير للي يعملها.

وفي وزارة الاوقاف عشرات الأوراق اللي فيها وقفيات الأسبلة ومالكيها ومصروفاتها والقائمين على استمرارها في أداء خدمتها من خدمة للناس ونيلاً للثواب من عند الله

مصاريف المية وزيادة عدد ساعات الخدمة في الصيف، وطبعاً بالتالي زيادة كمية المية والتنضيف وخلافه.. ثم الكُتّاب اللي ملحق بالسبيل وغالبًا بيكون فوقه وما يتبعه من خدمات.

الأسبلة في مصر تحديدا ليها باع طويل لا تتخيلوه، لا في عددها ولا أصحابها وحواديتهم اللي كل واحدة فيها حكاية بس هنا هنكتفى بـ ٨ أسبلة... بس الأسبلة في مصر ظهرت ملحقة بالمساجد، فكنت تلاقى المسجد ملحق بمدرسة وسبيل، وفوق السبيل مبنى كُتّاب لتعليم الأطفال القراية والكتابة وحفظ القرآن، وكانت الأسبلة بتتبنى في طرق وأماكن مزدحمة بالناس

والبشر زي الأسواق والأحياء الكثيفة بالسكان وفى طريق الحج أو السفر لسقي العطشى واخد الثواب وكدا

والسبيل كان بيتكون من جزئين:

١) الصهريج.. الخزان الكبير اللي بيشيل المية.

٢) حجرة التسبيل.. ودي اللي بتبقى فوق الصهريج ومنها بيتقدم المية للمارة.

وبعض الأسبلة كان بيبقى فيها لوح رخام وفوقه صهريج ينزل منه المية على الرخامة فتسقعها، وكان المسئول عن السبيل واحد إسمه "المزملاتي" وشغلته رعاية المكان وسقاية الناس، وكان يلزمه شروط تتوفر فيه وإلا ميشتغلش الشغلانة دي.. لازم يكون نضيف في هيئته وشكله، خالي من الأمراض ليعدي الناس، وكما قيل انه لازم يكون "ذو مروءة" يعني أخلاقه كويسة وصبور عشان ميتعصبش على البشر.

زمان قبل ظهور الحنفيات كانت المية بتوصل للبيوت عن طريق السقا، وطبعا كلنا عارفين ازاي كان بيلفح القربة على ضهره ويتنقل بيها من بيت لبيت عشان يملا للناس في الزير ويشربوا ويتشطفوا، ولأن النيل كان بعيد عن مناطق كتير فكانت الشغلانة دي أساسية ورايجة، ومش بس كدا دي كانت أمن قومي كمان ومفيش بيت يستغنى عن الاخ السقا اللي لو معداش في يوم الدنيا تقف ومتقعدشي، وطبعا كان بياخد أجرة

طب والغلابة؟ أيوه الناس اللي مكنتش تقدر تدفع والناس اللي كانت مرمية في شوارع وحواري القاهرة بلا عمل ولا مأوى، والناس اللي على سفر كلهم كانوا بيشربوا منين؟

من السبيل طبعا، واللي في فن العمارة الإسلامية يعتبر أحد أجمل وأهم أشكالها، مش بس في قيمته الروحية لأ كمان في شكله وخصايصه وجماله المتفرد.

واللي يبص في رسومات الفنانين اللي زاروا مصر هيلاقوا مفيش حد مرسمش في مرة سبيل، والرحالة كمان حكوا عن الأسبلة بإعجاب، ولما كانوا بيسألوا عن هذا البناء الجميل الدقيق الحجم والمتفرد عادة في زخرفته كان بيترد عليهم باجابات تدهشهم اكتر عن عظمة الدين واللي بيعمله في نفوس المسلمين.

الأسبلة أخدت وضعها أكتر وانتشرت أيام المماليك وطبعا السبب معروف.. المماليك كانوا من أصول غير عربية، والفن بالنسبالهم كان محل اهتمام عن العرب وكانوا غاويين أبهة في أوقات فراغهم من قتل بعض، فكانوا بيحبوا يلبسوا أغلى حاجة ويسكنوا بيوت فخمة ويعيشوا أحلى عيشة، ولأنهم عارفين ان بلاويهم كتيروموتهم وشيك فكانوا بيبنوا حاجات لله عشان تغسل ذنوبهم. وهنلاقي طبقا لهذه النظرية ان أغلب سلاطين المماليك بنوا مساجد وأمرائهم الأغنياء من موظفين وأعوان كانوا بيبنوا مساجد منها يندفوا فيها ومنها ياخدوا ثواب ويكفروا عن ذنوبهم، ومع المساجد ظهرت الأسبلة والكتاتيب والمدارس اللي كانت موجودة من أيام الأيوبيين.

واقدم سبيل مملوكي كان أيام الظاهر بيبرس..الراجل دا مسك مصر بعد قتله لقطز وعمل فيها هي والشام إصلاحات وانجازات كتير، وفي عهده هتبدأ فكرة السبيل دي تنتشر واللي بعده يقلدوه.. وهكذا.

الأسبلة في مصر ما بقى منها وما أندثر عدده مؤثر فعلا، وانتشرت بعد زوال المماليك لما جم العثمانيين ثم اتوجدت برضو في عهد محمد علي،
ويكفي انه في كتاب "وصف مصر" احد من كتبوا في الجزء الخاص بمدينة القاهرة ذكر انه زار بنفسه حوالي ٢٤٥ سبيل وانهم أكتر من كدا بس هو ملحقش يشوفهم كلهم. وبيقول انهم يعدوا ال٣٠٠ بالمستريح، وقال كمان انه مذهول بهذا النوع من العمارة بجماله ووظيفته والكُتّاب اللي غالبا ملاصق له او مبني فوقه، وكان معجب بفكرة التعليم الجماعي للأطفال بينما في اوروبا العيال بتتعلم بشكل فردي، وازاي الحكاية دي في مصر بتتم بهذا المنظر وببلاش كمان..!
الأسبلة في مصر أشكال وألوان وحكايات، هنقول منهم ٨ حكايات لأنهم في نظري هم أجمل الأسبلة الموجودة، واكيد فيه أجمل طبعا بس مبدئيا كدا وباديء ذي بدء أغلب هذه الأسبلة هتلاقوها في القاهرة الفاطمية وضواحيها وقليلاً ما هنخرج عنها

اول سبيل (**سبيل السلطان قايتباي**)



وكنا حكينا عن تربيته لإبنه (أبو السعادات) في الجزء الأول من السلسلة، والحقيقة الراجل ده كان مفتري لكن كان مهووس بالعمارة وعمل كمية انشاءات.. وكالة ومسجد وملحقاتهم ومن ضمنها السبيل وفوقه كُتّاب، وصرف على الحاجات دي وكلفها، ودي اللي بتسمى حتى الأن (مجموعة قايتباي)

☪ ☪ ☪

تاني الأسبلة (**سبيل عبد الرحمن كتخدا**)



وده في بين القصرين القاهرة الفاطمية برضو، ودا اللي بناه واحد من الناس اللي مبتتكررش كتير وهو الأمير "عبد الرحمن كتخدا". الراجل دا كان غني غنى فاحش، لكنه كان كريم وسخي وخيّر بشكل مرعب.
والأمير عبد الرحمن رمم مساجد كتير وبنى منشآت كتير وكان له أيادي بيضاء على الفقرا والمحتاجين، وكان بيوصف انه من بنائين مصر العظام.
والسبيل رغم صغر مساحته، لكنه تحفة وآية في العمارة، وكان بيشد عيون الرحالة والفنانين ولازم هتلاقوه في لوحة من لوحاتهم.
والمؤسف ان الراجل تم التضييق عليه في نهايات حياته لحد ما طفش على الحجاز ومات هناك، وهنبقى نحكي حكايته في الجزء القادم ان شاء الله.

اول سبيل كان مملوكي والتاني عثماني، اما التالت والرابع بقى فدول تبع "محمد علي باشا"
محمد علي كان مخلف بتاع ٣٠ ولد وبنت، منهم اللي مات صغير ومنهم اللي كمّل المسيرة حتى الشباب وبعدها مات او انقتل، ومنهم اللي عاش وعمّر للكهولة.
محمد علي هيموت له ولدين في سن الشباب، أولهم كان الأمير طوسون، ودا كان نني عينه وكان بيعده للتوريث وبيفضله على إبراهيم،ابنه البكري.
طوسون بقى كان زينة الشباب وعسكري حلو ومحمد علي عاوز يبديه على إبراهيم ويخليه أشطر، قام قرر يبعته الحجاز يحارب الوهابيين ويكسر شوكتهم، والكلام دا حصل بعد مذبحة القلعة بوقت بسيط يعنى بعد ١٨١١
وطوسون أبلى بلاءا حسنا وهزم الوهابيين هزائم صغيرة كده وقعد بناءا على توجيهات أبوه محمد علي، هيقعد عنده يرتب الأحوال والإدارة في الحجاز وبيقولوا اتجوز واحدة كمان من هناك واستقر، وشوية وجاله طاعون! وفيه مصادر بتقول انه انقتل في مواجهات هناك، بس الغالبية بيقولوا مات بالطاعون
المهم طوسون مات في عز شبابه ورجع لابوه في صندوق، وحزن عليه محمد علي قوى واتأثر وقرر يعمل حاجة على روحه عشان الناس تدعيله وكدا! ومش هيبني مسجد ولا مدرسة.. قال نعمل سبيل، وقد كان.

(**سبيل محمد علي**) بالعقادين



ومفيش داعى أقول ان السبيل دا على مر الزمن اتعرض للإهمال والبهدلة وكاد يندثر لولا جت منحة اعتقد من اليونسكو وأنقذته

السبيل الرابع (**محمد علي بالنحاسين**)



ولكن المرة دي هيبنيه عشان ولد تاني من عياله وهو الأمير إسماعيل كامل، والسبيل دا أحد درر شارع المعز بالجمالية، وعشان كده لازم نعرف حكايته مش حكاية السبيل.. لأ حكاية إسماعيل كامل .. ابن ابوه بحق.

محمد علي كان عاوز شوية عبيد يدخلهم الجيش ويغير في قوامه شوية، ويعتمد عليهم مع المصريين، فقال لإبنه إسماعيل كامل - ودا طبعا غير اللي هيبقى الخديوي إسماعيل بعدين-

المهم هيقول لإسماعيل روح على السوادن وهات عبيد من هناك، فإسماعيل فورا نفذ كلام ابوه وأخد معاه عساكر ونزل على مدينة اسمها "الفاشر" في

السوادن مشهورة ببيع الرقيق اللي كانوا بيخطفوهم من قراهم. إسماعيل عسكر هناك وبعت لواحد كبير قوي هناك وكان اسمه "النمر" وكان زي ما تقولوا كدا الزعيم بتاع المنطقة ورجل تجارة الرقيق الأول هناك، ودخل "النمر" على إسماعيل وبعد السلام والتحية طلب عدد كذا وقدره من العبيد.

النمر طلب قصادهم سعر معين معجبش إسماعيل، فقال لأ كتير، قام النمر قاله دا اللي عندي، والظاهر قالها بطريقة مش ولابد يعني ومخدش باله ان دا ابن والي مصر محمد علي بنفسه.. المهم على صوته على إسماعيل، قام إسماعيل رزعه قلم قصاد الموجودين كلهم من رجال الطرفين، وطبعا النمر بعد استيعاب اللطمة استوعب انه مش هيعرف يردها، قام حاطط واطى فورا، وقاله التمن اللي هتدفعه خلاص. وفى روايات بتهوّل في الحكاية اكتر وبتقول ان إسماعيل اختار إحدى زوجات النمر ضمن البضاعة إمعانا في إذلال الراجل وكدا!

المهم النمر خرج من عند إسماعيل مبديًا الطاعة والولاء وصاغرا لكن الانتقام كان سيد الموقف

خرج النمر واستنى الليل ينزل بستايره السودة وإسماعيل كان مع حراسه في كشك من البوص ونايمين ولا على بالهم، والنمر في ثوان هجم والحراس اللي برا الكوخ البوص اتقتلوا ورجالة النمر ولعوا النار في المكان كله وما حوله، وفى دقيقة كان إسماعيل جواه بيتشوي حيا، ومات محروق، وهرب النمر للجبال مع رجالته، وبيقولوا قعد شريد لحد ما مات.

اما محمد علي بعد ماقام بالواجب مع مدينة "الفاشر" وبعتلهم تجريده بهدلتهم، قرر إنه يبني سبيل لإبنه "إسماعيل" عشان الناس تدعي له، وقد كان هذا السبيل.

حكينا عن أسبلة بعض الرجال...نحكى بقى عن أسبلة السيدات.. ولنا هنا... وقفة لأن الأكيد ان بناء بهذا الشكل والجمال والروعة مكلف ماديًا، مش بس فترة انشائه، لأ بعدها كمان، لأن السبيل عاوز صيانة وفلوس المية وأجر المزملاتي، فعادة كان بيبني الأسبلة رجالة سلاطين أو أمراء أغنيا، وبيوقفوا أراضي للصرف من ريعها على الأسبلة، لكن دخول النساء على الخط كان ملفت وملهم الصراحة ويستحق الانتباه، ونبدأ بأول اسم.

☪ ☪ ☪

سبيل (**رقية دودو**)



وهذا السبيل انا حزين عليه لما آل اليه من إهمال وبشاعات بعد ما كان تحفة زي ما انتوا شايفين كده، بس نحكي الأول حكايته.
رقية دودو اسمها عجيب فعلا، وفي أحد المقالات لما صحفى سأل السكان في الحي عنها قالوله دي كانت رقاصة وربنا تاب عليها فعملت سبيل لله وكدا!!!!
لكن الحقيقة ان صاحبة السبيل الشهير فى شارع سوق السلاح قرب القلعة "رقية دودو" كانت بنت أحد الأمراء في العصر العثماني واسمه "رضوان الجلفي"
الراجل دا كان له شنة ورنة ومكانة مرموقة وجاء في فترة تاريخية مش حلوة اثر مقتل علي بك الكبير والصراع بين أمرائه لحد ما كسب ابو الدهب الخاين.

رضوان كان غني جدا، وبيقولوا ان هو اللي بنى باب العزب اللي في القلعة. المهم.. الراجل حاول يلعب دور حمامة السلام، وفى يوم طلع القلعة يحاول يصلح ما بين الامرا وبعضهم. الأمراء اخدوه على قد عقله وعملوا متصالحين وسابهم وهو مش واخد خوانة وروّح على بيته اللي كان في الأزبكية. دخل بيته وقالهم هاتولي الحلاق، وجه الحلاق يحلق له، مفيش دقيقة وسمع دوشة وصوت طلقات رصاص، وثواني وحتة من سقف البيت وقعت فوق نافوخهم، طبعا فهم ان الأمراء المنافسين خانوه وبسرعة جاب سلاحه وهرب على الأسطبل وركب حصانه، وأثناء هروبه اخد رصاصة في رجله وافتكر انه خلاص كدا ميت لا محالة، وبيبص وراه ملقاش حد بيطارده، قام هرب على الصعيد. لكن الإصابة حصلها مضاعفات وعلى ما قعد عند احد القبائل هناك ومرضوه مات البائس.

والحقيقة ان أمراء المماليك والعثمانيين كانوا حاجة تقرف قوي، اللي يموت منهم ييجى بداله اللي يورث وظيفته وأرضه وفلوسه، وكمان مراته وجواريه.

مرات رضوان الجلفي، أرملته بقى بمعنى ادق، اتجوزها أمير تاني بجملة اللي ورثه بقى من منصب وأرض وخلافه. كان اسمها ايه الست دي؟

أرملة رضوان كان اسمها "بدوية بنت شاهين" والست كان عندها بنت اسمها رقية دودو، والظاهر رقية ماتت صغيرة، فالأم قررت تعملها سبيل عشان الثواب. والسبيل من كتر جماله كان الرسامين الأجانب حريصين على تخليده في لوحاتهم عن مصر، واشتهر بإسم سبيل البدوية

المحزن بقى ان هذا البناء الجميل اللي صمد قدام الزمن من سنة ١٧١٦ هييجى في زمن مبارك وتنسرق أحد شبابيكه الحديد اللي هيا تحفة لوحدها

والناس هتصحى على احد السكان بيزعق في الشارع الصبح بدري وماسك في واحد كان بيجري وماسك الشباك الحديد بتاع السبيل وبيهرب، قام الجار عامل زفة وجابله البوليس..حلو؟

لأ مش حلو، عشان بعد البوليس ما ييجي وتتبلغ هيئة الأثار والسياحة، كل واحدة هترمي على التانية المسئولية، وبعدين ينتهي الموضوع بإن محدش غلطان، وهيقرروا يبنوا حيطة لمنع الحرامية وهيقفلوا الشباك الحديد بطوب أحمر ويا أسفاه..!

السبيل التالي (**سبيل نفيسة البيضا**)



ولمن لا يعرف نفيسة البيضا، أو نفيسة المرادية كما اشتهرت بعدين، كانت متجوزة علي بك الكبير، شيخ البلد وحاكم مصر

قام ابو الدهب مملوك علي بك الكبير ودراعه اليمين طمع في المشيخة وقرر يغدر بسيده، فقتله متضامنا مع مملوكين كمان هما مراد بك وإبراهيم بك.

مراد الوغد وافق على الخيانة مشترطًا شرط واحد بس، هو انه لما يموت علي بك الكبير يتجوز هو أرملته.. نفيسة عشان كانت جميلة وذكية ونبيهة وكمان أخلاقها عالية، الوغد طمع فيها واتجوزها بعد مقتل علي بك الكبير، وأخدت لقبه وبقت نفيسة المرادية نسبة.. لأمه

وبسبب أياديها البيضاء على الفقرا والغلابة والأيتام، سميت نفيسة بالبيضا، وكمان لفضلها على المماليك لُقبت بأم المماليك، وحضرت أيام دخول الحملة

الفرنسية مصر وشافت أهوال، وكانت جزء من المقاومة ضد المحتل، وفى نفس الوقت عملت علاقات دبلوماسية معاهم.

المهم عدى الـ ٣ سنين بتوع الحملة وجه محمد علي باشا، والست اللي وقفت وصمدت قصاد أمراء عثمانلية وقصاد الفرنساوية هتيجي عند محمد علي وتتبهدل بهدلة السنين، ويحجر على ممتلكاتها حتة حتة، لحد ما تفتقر وتعاني مع الشعب من قهر الوالي الجديد، وتموت حزينة منسية.

لكن السبيل والحمد لله عاش وشال اسمها ورد لها جزء من جمايلها، والسبيل دا رغم انه مخندق كدا ويبدو عادي لكن فيه جمال حكى عنه المتخصصون. ومكان السبيل دا في آخر الغورية جنب باب زويلة.

قولنا سبيل رقية دودو

وسبيل نفيسة البيضا

☪ ☪ ☪

السبيل التالي هو (**سبيل أم عباس**)



وأم عباس تبقى بنبا او بمبة قادن مرات "طوسون" ابن محمد علي، اللي مات في الحجاز، اذ فجأه ابنها عباس بقى الوريث بعد موت إبراهيم.
عباس كان مزعج ونكد على اللي حواليه لحد ما قتلوه بمؤامرة عائلية، وطبعا فيه أقوال انه مات محموم وعيان، لكن الروايات الأكثر تواترا وثقة انه انقتل في قصره في بنها على أيدي حراسه وبتدبير من عمته "نازلي" اللي كانت في اسطنبول في الوقت ده

المهم ان ام عباس مش هيهون عليها، وبعد موته بفترة وهدوء العيلة واستقرار الحكم لسعيد ثم من بعده إسماعيل هتقرر تبني سبيل لابنها المقتول.

الخديوي إسماعيل، ورغم ان عباس قرفه في عيشته، الا انه هيبعت يجيب خطاط شهير من تركيا مخصوص عشان يشتغل على التحفة الفنية دي ويخلّصها كأبهى ما يكون سنة ١٨٦٧ وتقبع في مكانها الخالد في شارع الصليبة والرايح والجاي يشرب منها ويدعى لصاحبها.

☪ ☪ ☪

السبيل الأخير يبقى (**سبيل أم الأمير محمد علي**)



والمعروف خطأ بسبيل أولاد عنان في رمسيس، واللي بنى السبيل دا واحدة ست برضو من أسرة محمد علي واحدى زوجاته واسمها.. "زيبا قادن" وزيبا الظاهر كانت مفضلة عند محمد علي، فلما ولدت له ولد أسمته محمد علي الصغير، والولد عاش لحد التلاتين وبعدها ربنا رحمه، فالست قعدت حزينة عليه وقررت تبني سبيل كالعادة.

والحقيقة احنا المفروض نشكرها عشان البناء البديع دا قعد سنين يقوم بدوره لحد ما قرروا يدخلوا المية البيوت واتعاقدوا مع كوبانية الميه، ولا بقى فيه سقا زي الأول ولا مشكلة في حق المية

والسبيل اللي اتبنى تقريبا سنة ١٨٩٠ م بيغلطوا في اسمه كتير.. شوية يقولوا سبيل الوالدة باشا، وشوية يقولوا سبيل أولاد عنان.. وكل دا غلط.

تسميته بسبيل أولاد عنان مفهوم عشان كان فيه مسجد بهذا الإسم مكان مسجد الفتح حاليا، والسبيل كان قصاده.

انما سبيل الوالدة باشا ليه؟ ومحدش اخد اللقب دا غير أم الخديوي إسماعيل وفقط.

الست زيبا مش الوالدة باشا.. والمهم طبعًا ان السبيل في مصر

السبيل اتعرض لسرقة احد شبابيكه سنة ٢٠١٠ وبالتحقيق عرف الآتى ان السبيل أغلق وتحول لمخزن تابع لإحدى المؤسسات الحكومية ويبدو انه بعد ثورة يوليو كان فيه تعمد واضح لتشوية أى حاجة تحمل اسم الملكية ورجالها، والسبيل تم إهماله لحد ما حالته بقت زبالة، وبعدين قالوا نرممه وجت له منحة أو ما شابه فبدأت عملية الترميم، واثناءها تمت عملية السرقة! ويقال ان الشباك اللي سرقوه عشان يبيعوه خرده وزنه في حدود ٦٠٥ كيلو، معرفش الرقم صح ولا مبالغ فيه، بس أياً كان اتفك واتشال ومشيوا بيه إزاي؟

وخلصت حكاية الأسبلة على كده، لكن الأسبلة نفسها لم ينتهى عددها اللي يملأ شوارع المحروسة

☪ ☪ ☪

مسجد أولاد عنان



حكايتنا دي عن مكان غريب حقًا بنعدي عليه كتير لكن محدش يتخيل انه عبر التاريخ كان له اكتر من ٧ أسماء مختلفة! والقصة مش هتبعد قوي في التاريخ. احنا هنرجع للفتح العربي لمصر لما عمرو ابن العاص يدخل قرية اسمها ام دنين، والمؤرخين بيقولوا ان ام دنين كان اسمها الرومي (تندونياس) ثم تغير الوضع بعد ذلك وموسوعة مدينة القاهرة في ألف عام بتقول نصا:

(عرفت بالقسم "قيل لأن قسمة الغنائم عند فتح مصر كانت بها" ثم عرفت بعد ذلك باسم المقسي. مكانها شمال حديقة الأزبكية، وأم دنين والمكس والمقسي والمقسم كلها أسماء مترادفة لقرية أم دنين) يعنى كلها أسامي لمكان واحد.

الحتة دي، واللي هتتحول بعد كدا لميدان رمسيس اللي نعرفه حاليا بكل صخبه، كان النيل بيعدي جنبها وكانت منطقة رائعة حسب وصف الناس بتوع زمان، كانت مليانة شجر ونخيل.

ويروح الزمان وتتوالى الدول والممالك لحد ما ييجي الفاطميين مصر، والمعز لدين الله هيبعت قائده جوهر الصقلي الأول، وبعد ما يستتب الحال يأمره ببناء عاصمة للفواطم، وجوهر هينفذ الأمر فورًا

وبما انه راجل عسكرى ومعندوش أى خيال، هيختار للقاهرة موقع حسب رؤيته، فلما يدخل المعز مصر يلومه ويعاتبه لما يلف شوية ويقوله كما ذكر المقريزي:

(فاتك بناء القاهرة على النيل عند المقس، فهلا كنت بنيتها على الجرف؟)

المعز كان عاوز نيل وخضرة، بينما جوهر التفت للحماية والتأمين فقط.

المهم.. الفاطميين هيعرفوا قيمة المنطقة دي ويحبوها جدا، ومش بس الحتة دي. كل مكان فيه خضرة ونيل الفاطميين عملوا فيه "مناظر".. والمنظرة يعني مقصورة كبيرة للحاكم يطل منها على النيل والناس تحضر فيها احتفالات.

منطقة المقس دي كمان هتبقى بسبب قربها من النيل مقر لاستقبال وتوديع الأسطول الفاطمي أثناء المعارك، غير انها خدت بُعد اقتصادي في تحصيل ضرايب من اللي داخلين البلد من الميناء اللي هناك، ويقال ان المسئول عن تحصيل المكوس او الضرائب كان له مقر هناك ثابت، عشان كدا سموها المقس، وسموا الجابى دا.. المقسي.

المعز هيموت وييجي مكانه ابنه "العزيز بالله" اللي كثرت الاحتفالات في عهده في الحتة دي، وبعدها يموت ويجيلنا إبنه "الحاكم بأمر الله"

الحاكم بأمر الله كانت دماغه لاسعة شوية ومش طايق نفسه، ومن جنونه هدم الكنايس، وفيه أقاويل ان منطقة المقسي كان فيها كنيسة، ويقال – ولا سند لهذا– ان الحاكم هد الكنيسة دي وبنى مكانها جامع، لكن أقاويل أخرى بتحكي ان الحتة دي كان فيها جامع بسيط من أيام الفتح الإسلامي لمصر، وان الجامع دا تهدمت أحد جدرانه، فالحاكم قرر يهده ويبني جامع جديد، وفعلا تم هذا وبُنى جامع المقسي في عهده، وكان تاني واحد بعد جامع الأنور أو جامع الحكام اللي في مدينة القاهرة الفاطمية اخر شارع المعز.

وبيقولوا ان الحاكم بأمر الله كان في جولاته الليلية العجيبة اللي كان مشهور بيها كان بيعدي على جامع المقسي في سكته لحد ما خرج في يوم ومرجعش.

ويلف الزمن والدولة الفاطمية تذهب إلى زوال لما الخليفة العاضد، آخر سلسال الفواطم، يموت كمدا، ووزيره صلاح الدين يثبت نفسه على عرش مصر، ويأمر وزيره بهاء الدين قراقوش بعدة أشياء، منها:

* عمل سور حول القاهرة بعد ما اتسعت رقعتها ومبقتش مقتصرة على قاهرة الفواطم بس

* وعمل قلعة عند جامع المقسي

قراقوش بنى السور بأبواب جديدة عند المنطقة دي، منهم "باب الحديد" اللي اتهد بعدين، وباب تاني اسمه "باب البحر" في الحتة دي، هيكون لهم تأثير عشان جامع المقسي هيشتهر لفترة طويلة بجامع باب البحر وجامع باب الحديد

ونركز بقى.. دلوقتي جامع المقسي اللي بناه الحاكم بأمر الله في عهد الفاطميين هيبقى له اسم تاني.. جامع باب البحر.

وجامع السيرة الصلاحية بيحكي عنه وعن المنطقة عموما:

(وهذا المقسم على شاطىء النيل يزار، وهناك مسجد يتبرّك به الأبرار، فلما أمر السلطان صلاح الدين بإدارة السور على مصر والقاهرة، تولى ذلك بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقس، وبنى فيه برجًا يشرف على النيل، وبنى مسجده جامعًا، واتصلت العمارة منه إلى البلد وصار تقام فيه الجُمع والجماعات)

ويلف الزمان تاني وجاء المماليك، وسنة ١١٦٢م هيفيض النيل وبقوة لدرجة تهدم احد حيطان الجامع ويقعد كدا على حاله البائس المتهدم بتاع ٢٠٠ سنة

لحد ما ييجي جدع ابن حلال اسمه الوزير "شمس الدين عبدالله المقسي" ويقرر سنة ١٣٦٨م انه يجدد الجامع على نفقته الشخصية، وقال عنه السخاوي في الضوء اللامع:

(أن الصاحب المذكور كان نصرانيا، وكان يقال له قبل أن يُسلم شمس، وكان يعرف بالمقسي نسبة للمقسم ظاهر القاهرة)

ومنعرفش بقى هل اتسمى بالمقسي نسبة الى الجامع ولا العكس، لأنهم بيقولوا انه كان جامع للمكوس وان دي وظيفته ولقبه، يعنى هل شمس اشتهر باسم الجامع ولا الجامع هو اللي اشتهرباسم شمس بعد ما كان معروف بجامع باب البحر لزمن؟

المهم المقريزي بيقول: **(وهدم القلعة وجعل مكانها جنينة، واتهمه الناس بأنه وجد هنالك مالا كثيرا وأنه عمّر منه الجامع المذكور، فصار العامّة اليوم يقولون جامع المقسيّ ويظنّ من لا علم عنده أن هذا الجامع من إنشائه وليس كذلك، بل إنما جدّده وبيضه وقد انحسر ماء النيل عن تجاه هذا الجامع كما ذكر في خبر بولاق والمقس، وصار هذا الجامع اليوم على حافة الخليج الناصريّ وأدركنا ما حوله في غاية العمارة، وقد تلاشت المساكن التي هناك وبها إلى اليوم بقية يسيرة، ونظر هذا الجامع اليوم بيد أولاد الوزير المقسيّ، فإنه جدّده وجعل عليه أوقافا لمدرّس وخطيب وقومة ومؤذنين وغير ذلك)**

يعنى جدد الجامع وصرف عليه وأولاده اهتموا بيه من بعده

المقريزي كمان بيحكى ان القضاة قبل رمضان بأيام كانوا بيعدوا على جوامع القاهرة يشوفوا ايه اللي ناقص او محتاج اهتمام استعدادا لهذا الشهرالكريم **(فيبدءون بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم الأضرحة والمشاهد ثم**

بالقرافة ثم جامع عمرو بن العاص وحصر ما تحتاجه المساجد من قناديل وعمارتها) واضح ان الجامع كان في الخطة وله أهمية واحترام يعني.

واحنا دلوقتي في اواخر عهد المماليك أيام الغوري لما الحال كان ضنك ومليان بعبث لا نهائي، وجامع المقس أو المقسي أو باب البحر الخ هيتسمى باسم جديد خالص نسبة إلى احد الشيوخ اللي تعلق بيهم المصريين بشدة.. وهو الشيخ الصالح الزاهد محمد بن حسن بن احمد الطهوائي البرهمتوشي المصري الشهير بـ إبن عنان الشافعي، والراجل دا كان له مكانة ومهابة وكرامات، وبيقولوا انه كان بيستحي يستحم عريان، وبيقولوا انه كان بيعتكف فوق أسطح الجوامع في عز البرد، وبيقولوا انه أطعم ٥٠٠ نفس بست أقداح دقيق، وبيقولوا انه عمّر فوق ال١٠٠ سنة، ولزهده في زمن مادي وضيع زي زمن المماليك ولمكانته ومهابته الناس حبته وكانت بتلجأ له، والجامع اشتهر بجامع الشيخ عنان لزمن طويل واندفن فيه الشيخ طبعا بعد موته.

ويحكى ان طومان باي لما تسلطن وسليم الأول اقترب من مصر، دخل الجامع وعند الضريح كشف جزء من الجثمان وأخد قدم الشيخ عنان ومرغ بها وجهه تبركًا لعل الغمة تزول، وطبعًا حدث المقدر ودخل العثمانيون مصر.

مسجد الشيخ عنان أصبح في عهدة أولاده ومريديه واتسمى بإسمهم بعد شوية وبقى "مسجد أولاد عنان"

واحنا دلوقتي تحت الحكم العثماني يا مصر، وللأسف لم يهتم أحد بالجامع، وللأسف انحدر حاله واتخرب لدرجة انه لما جاء الفرنسيس إلى القاهرة كان

سهل عليهم يهدوا الجامع بمدافعهم، وبنوا مكانه قلعة زي ما عملوا مع جامع الظاهر بيبرس كدا.

والجامع اللي اتعرف في موسوعة وصف مصر باسم جامع العنانية هتختفي معالمه وهيقام مطرحه طابية هيسموها "كامان" على اسم احد الضباط بتوعهم.

ويخرج الفرنساوية ١٨٠١ م وتدخل مصر لعدة سنوات في قلاقل لحد ما ييجي محمد علي وتزال آثار الفرنساوية من البلاد تقريبا

سنة ١٨٤٤ هيأمر بتحويل المنطقة دي كلها لمتنزه عمومي وتزال كل الآثار القديمة، وبعدها بكام سنة يتهد باب الحديد اللي بناه قراقوش ويفضل الإسم... سبحان من له الدوام!

يحكم الوالي عباس حلمي الأول ويتعاقد مع شركة انجليزية لمد خط سكة حديد في مصر ويختاروا المنطقة دي عشان تكون مقر للمحطة، ونسمع بقى عن محطة مصر وميدان باب الحديد والتطورات على مر الزمن تتوالى لما مسكها سعيد ثم الخديوي إسماعيل ثم توفيق ابنه.

تولى الخديوي عباس حلمي التاني وأرض الجامع حديقة ومتنزه والناس عمالة تبني في المنطقة وتعمرها وحاجة جميلة خالص، وفجأة وبدون سبب معلوم يقيض الله لهذه البقعة راجل من رجال الدولة اسمه "حسن باشا حلمي الاندوسي".. وحسن باشا دا كان يشغل منصب وكيل مجلس شورى القوانين، والظاهر فلوسه كانت كتير وحابب يعمل خير عظيم فقرر يبني الجامع من تاني.

وفعلاً فى ١٠ سبتمبر ١٨٩٤ يوضع حجر الأساس للمسجد الجديد بمال الأندوسي وتحت اشراف وزارة الأوقاف، وعلى مساحة اكبر من المساحة القديمة..الضعف تقريبا.

ومما كُتب عنه: (**هو جامع لطيف عامر بالشعائر يعلو بابه مئذنة جميلة مملوكية الطراز. يحجب الجامع عن الشارع دكان على يمين الباب الخارجي يعلوه كُتّاب)**

وثبت بالنقش في لوحة من الرخام فوق الباب الداخلي بدهليز الجامع ومكتوب فوق الباب الخارجي الذي تحت المئذنة ما نصه: (**أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك خديو مصر عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه)**

الخديوي عباس حلمي الثاني في ٢٣ ابريل ١٨٩٧ افتتح الجامع الكائن بشارع نوبار- حسب تسمية الشارع انذاك- وبقى جامع أولاد عنان جزء من المنطقة يستقبل القادمين من المحروسة والخارجين منها وشغّال بكفاءة يشهد على الأحداث، وتمر عليه الأيام والليالى لحد سنة ١٩٦٩

الظاهر الجامع كانت مساحته أصغر من الاستيعاب أو حالته مش قد كدا، محدش ذكر ايه السبب، المهم انه صدر قرار بنقله.

نعم مسجد أولاد عنان اتفكك حجر حجر وتم ترقيمهم ونقلهم ليتم تجميعه مرة تانية في مكان مسجد كان خربان، ألا وهو مسجد السيدة عائشة.

يعنى مسجد السيدة عائشة هو مسجد أولاد عنان سابقا مع تعديل طفيف في مداخله.

ونرجع لميدان رمسيس، أو باب الحديد، أو محطة مصر.. كله شغاااال

وسنة ١٩٧٠ هيصدر قرار بانشاء مسجد جديد في المنطقة دي بعد ما بقت أرض فضاء، ويتم اخلاء وهدم منزلين مطلين على الميدان وضم أرضهم

لأرض الجامع عشان يوصل لـ ٢٠٠٠ متر مساحة، وتتولى شركة المقاولين العرب المهمة بانشاء جامع الفتح، ويقرر الاستشاري الكبير المهندس حسين بكري في تصميمه انه يعمل أطول مئذنة في مصر وقتها بارتفاع ١٣٠ متر، وقالوا عشان تبقى مميزة وتتشاف من كل الاتجاهات

ويقال انهم قعدوا يبنوا فيه ٢٠ سنة تقريبا لحد ما اكتمل، ويقال بتكلفة ١٠٠ مليون جنيه، ويروح الرئيس السابق مبارك يوم الجمعة ٢٢ فبراير ١٩٩٠ عشان يفتتح مؤسسة الفتح ومسجد أولاد عنان بميدان رمسيس في الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج.

والحقيقة احنا مش محتاجين نتكلم عن جماليات المسجد والشغل اللي فيه، لكن موقع الجامع رغم أهميته ظلمه كتير بسبب ازدحام المكان اللي أخفى كتير من جمالياته

وخلصت حكاية هذا المكان وهذا المسجد .

☪ ☪ ☪

جوهر اللالا

صيتي من القلعة.. للقلعة

لسويقة اللالا.. لالالا



رحمة الله على الشاعر صلاح جاهين والملحن العظيم سيد مكاوي اللي كانت حكايتنا دي مستمدة من أوبريتهم العظيم "الليلة الكبيرة"

الحكاية من زمن المماليك اللي بتتمحور حول شخصيتين.. سلطان وأحد رجاله، وعلى غير العادة في هذا الزمن هاتكون علاقتهم وثيقة ولا تتزحزح، وعلى غير العادة هايكون فيهم واحد مميز جدا

نبدأ الأول بالسلطان المدعو "برسباي الدقماق"، واللي وصل لعرش مصر في الأول من إبريل عام ١٤٢٢ ميلاديا بعد قصه صعود عجيبة.

برسباي كان ابن حداد متواضع في بلاده اللي محدش عارف فين بالظبط والأب مات فجأه، قامت أمه تزوجت من آخر، واللي هايبيع برسباي في سوق العبيد، واتنقل برسباي من إيد لإيد ومن سيد لسيد لحد ما وصل مصر وشافه مماليك الأمير دقماق، فاشتروه له وبقى اسمه "برسباي الدقماقي" نسبة إلى سيده.

الأمير دقماق أهداه للسلطان برقوق، واتبرى برسباي في القلعة، وابتدت رحلة صعوده من اللحظه دي، وعاصر سلاطين كتير لغاية السلطان "ططر".

المهم.. برسباي عاصر المؤيد شيخ اللي غضب عليه ونفاه للشام، قام الأمير ططر قبل ما يبقى سلطان اتوسط لبرسباي عشان يرجع وقربه منه لما اتسلطن.

ططر مقعدش في الحكم غير ٩٤ يوم حسبما يقول المقريزي، ولما تعب وصى برسباي على إبنه، وبقى برسباي هو الوصي على ابن السلطان ططر وعلى البلد كلها

مات ططر ومسك ابنه ناصر الدين محمد وهو عنده ١٤ سنة وكان الوصي عليه برسباي، وبعدها بفتره انقلب برسباي على ناصر محمد وعزله بعد ٣ شهور وكام يوم، واتسلطن برسباي وحكم مصر ١٧ سنة وكان بيحضّر لخلافة ابنه "يوسف" من بعده.

بعد كده ييجى بطل الحكاية التاني "جوهر اللالا".. وجوهر نشأته ماتختلفش كتير عن قصة برسباي، وكان اتخطف من أهله في الحبشة واتباع في سوق العبيد، ومن إيد لايد وصل مكة واشتراه الأمير "عمر بن بهادر" ولما رجع الأمير عمر مصر أهداه لأخته، واخته دي تبقى مرات الأمير أحمد بن جلبان الحاجب.

والأخ احمد ابن جلبان هو ومراته هيربوا جوهر ويحسنوا تربيته، وكمان بعد فترة هايعتقوه لوجه الله والولد ياخد إسمهم ويبقى "جوهر الجلباني" نسبة للأمير أحمد بن جلبان.

الأقدار ساقت جوهر في طريق السلطنة بدري بدري لما اتعرف على برسباي في دهاليز القلعة والبلاط السلطاني من أيام ما كان برسباي أمير لسه
برسباي قربه منه وكان بيثق فيه، ولما تولى نيابة "طرابلس" أخد معاه جوهر، ولما المؤيد شيخ غضب على برسباي، لم يتخلى جوهر عنه.

وبعدها برسباي يرجع ويغدر بإبن ططر وياخد العرش منه، ولما يستقر يجيب جوهر ويعهد له بتربية ابنه "العزيز يوسف"، ومن هنا أتى لقب "لالا"

الـ "لالا" يعنى مربي أولاد السلاطين والمماليك، ودي كانت مهنة مش أي حد يوصلها، ولازم لها شروط أهمها الثقة والأمانة. بعض الناس قالت ان "اللالا" هو الاسم المحرف "للدادا" وده خطأ، لأن الدادا هو لفظ تركى

ومعناه الجدة أو المربية أو الوصيفة أو الخادمة، وهي عندهم "دده" من غير ألف، لكن احنا هنا حرفناها..

جوهر اللالا قعد في خدمة برسباي طوال مدة حكمه الـ ١٧، واتعين جنب وظيفته كمربي لأبناء السلاطين والملوك مشرف كمان على الدور السلطانية..

وهنا لنا وقفة!!

الوظيفة دي كان فيها لعب كتير وعلى مستوى عالي، سرقة ونهب بسبب ما قد يأتي تحت إيد صاحبها من ثروات وكنوز، لكن جوهر وحسبما يذكر أغلب المؤرخين سواء المشكوك فيهم أو الثقات كان راجل عف، ونضيف اللسان واليد، وعلى عكس أمراء المماليك كان مؤتمن وثقة، والطريقة اللي انتهت بيها حياته هتؤكد على ذلك، وهنحكي إزاي، بس الأول نذكر ان جوهر كل ما ملكه حطه في جامع اتبنى جنب القلعة، والجامع كان صغير في الحجم على عكس المتوقع كما هو معروف عن المماليك في إسرافهم في البناء والزينة، لكن جوهر لم يسرف ويفتري في البناء، واختار حتة أرض صغيرة جنب القلعة عشان تبقى تحت نظره، والناس اللي كتبت في العمارة قالت ان المهندس اللي بنى الجامع ده كان محترف لأبعد حد ويستاهل جايزة، لأن الجامع رغم صغر مساحته إلا ان المهندس اللي بناه لم يترك سنتيمتر واحد إلا واستغله كما ينبغي، بنى مسجد وكُتّاب ومدرسة لتعليم الأيتام، ورغم إنه يقبع في أحد الأماكن المختفية بين جامعي السلطان حسن والرفاعي، إلا إنه مميز شكلا واستغلالا للمساحات وتاريخا كمان.

المسجد ده في مجال العمارة الإسلامية يعرف بالأبلق، يعني اللي حيطانه لونين، وجوهر اللالا كان بيعلم في مدرسته الايتام ويتعهدهم بالرعاية الكاملة لحد ما يبلغوا، وبعدين يحل مكانهم اطفال جدد وهكذا، وواضح

ان ظروف نشأته جعلت عنده رحمة بالغلابة والأيتام والفقرا، فكانت ايده فرطة معاهم وكان محبوب، عكس الأمراء وقتها، ومقتصرش في الخير على أهل مصر وبس، ده كمان خصص جزء من ريعه لفقراء مكة وفقراء المسجد الأقصى.

وعلى رحمته بالفقرا والغلابة، كان شديد مع موظفينه واللي تحت إدارته، وكان بيشترط على اللي يتولى إدارة أي وقف انه مايكونش له شغلانة تانية، يعني ميجمعش بين وظيفتين عشان يتفرغ لشغله ومايسرقش طبعا وفلوسه تكتر، وكان الموظف مهما علا شأنه لو غاب عن العمل بلا سبب يتخصم من مرتبه وينضاف للوقف.

المهم.. جوهر اللالا لأنه كان نموذج نادر وسط المماليك، فالسلطان مسك فيه بإيده وسنانه وقعد ١٧ سنة معزز مكرم في عهد برسباي، وبعد ما كان برسباي بيحضر ابنه عشان يبقى خليفة بعده، جاء ملك الموت له ومات برسباي. وكان وقتها النظام ان أقوى الأمراء يبقى وصي على ولي العهد، ويوسف ابن برسباي كان عمره ١٤ سنة، وبالتالي مين يبقى وصي عليه وعلى البلد؟

طبعا جوهر ماكنش ينفع لأنه كان مربي ومعلم وموظف طيب، ولاعنده مماليك ولا عتاد ولا سلاح، فكان الطبيعي ان اللي يتصدر المشهد شخص تاني.

والشخص ده كان أتابك العسكر الأمير "جقمق" اللي كان من مماليك "برقوق" ومن بعده "ططر" لحد ما بقى اتابك في عهد "برسباي"، وده منصب عظيم جدا.

يوسف اتسلطن وأخد لقب "العزيز" وكان طبعا بلا سلطة فعلية، وجوهر اللالا فضل جنبه عملا بوصية الأب.

ويدوب ٣ شهور، وكعادة المماليك، فكر "جقمق" انه ياخد السلطة، ولكن المرة دي عملها بشكل دستوري ولم الأمراء وجاب أمير اسمه "قرقماش القباني" وجاب الخليفة وعملوا قعر مجلس وانتهوا جميعا إلى اقتراح بتولي الأمير "جقمق" العرش بدلا من العزيز يوسف.. وتمت الموافقة طبعا على هذا الاقتراح

وطلعوا على القلعة وعزلوا "العزيز يوسف" وبعتوه برج القلعة يقعد مع أمه، وسبحان الله من غدر يُغدر به، برسباي غدر بابن السلطان ططر وجاء جقمق وغدر بابن برسباي بعد ٣ شهور.

اللطيف بقى ان حكم جقمق استمر مدة طويلة حوالي ١٢ سنة أو اكثر، وساب الحكم لإبنه "المنصور فخر الدين" ابن الـ١٩ سنة، ويتم خلعه بعد ٤٣ يوم بس، يعني كما تدين تدان فعليا

نرجع بقى لصاحب الجامع "جوهر اللالا" ونعرف حصل له إيه بعد يوسف ابن برسباي ما اتخلع.

أول ما جقمق تولى السلطنة طبعا لازم يتخلص من النظام القديم بكل شخوصه، وأمر بتجريد مماليك العزيز يوسف من ممتلكاتهم عشان الثروة تبقى من نصيبه هو وبس، وصدر أمر سلطاني بالقبص على "جوهر اللالا"، وأصلا الراجل بمجرد ما عرف ان العزيز يوسف تم عزله أحس انه في خطر داهم لأن دي العادة أيام حكم المماليك وبطشهم بما قبلهم، وبالتالي الراجل بدأ يلم حاجته عشان يطفش على الشام أو مكة، ولكن ماالحقش يخرج وتم توقيفه على حدود القاهرة من قِبَل مماليك السلطان جقمق. الأول صدرت

الأوامر بالحوطة على كل موجودات جوهر من بيت وفلوس، والظاهر ان الفلوس ماكنتش كفاية عشان تقنع جقمق، فغرّمه بمبلغ ٣٠ ألف دينار جوهر وقف قصاد جقمق يقول له ويحلف له انه لا يملك المبلغ ده وان انتوا صادرتوا كل أموالي، لكن جقمق مصدقش وقاله انت كداب ومش معقول تكون قاعد ١٧ سنة مع السلطان اللي قبلي وماتكونش عملت فلوس واتربحت من وظيفتك، حاول جوهر يقنع جقمق ولكنه لم يقتنع وأمر المماليك يخدوه على السجن، وخدوه على السجن بعد ما اتعمل معاه التشريفة المملوكي المحترمة، ودخل زنزانته من هنا وجاله صرع من هنا، وطبعا محدش سأل فيه ولا عالجوه، وهما كام يوم واتوفى قبل ما يشوف ويل أكبر وتعذيب أكبر من قِبل المماليك.

ويموت "جوهر اللالا" سنة ١٤٥٣م بعد سيرة طيبة وعمر قضاه في الخير.

م الرميلة للقلعة



الحقيقة الوحيدة اللي بتنطلق منها القصة دي ان الغالب دايما على السلاطين والملوك من وقت الفتح الإسلامي مرورا بالأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين ودولة المماليك إن أي حد فيهم لما بيوصل للحكم لازم يثبّت حكمه، وعشان يضمن حماية مُلكه لازم يبني قلعة حصينة تحمى الدولة من أي عدو خارجي، وهي عادة مخرجش عنها غير قليل جدا من السلاطين، وعادة اللي مش بيهتم منهم ببناء القلاع الحصينة بيكون غير عسكري، بعكس العسكريين اللي عارفين قيمة بناء قلعة أمثال "صلاح الدين الأيوبي" اللي خاض حروب كتير ضد الصليبيين، وكان اهتمامه ببناء قلعة حصينة أهم بكتير من بناء منشآت مدنية، وده لطبيعة شخصيته والظروف اللي نشأ فيها سواء في الشام أو لما بقى أول حكام الأيوبيين في مصر.

صلاح الدين لما أزاح الخليفة الفاطمي "العاضد"، أول حاجة فكر فيها هي بناء القلعة عشان تكون حامية للدولة، والراجل ملقاش قدامه غير وزيره الأثير "بهاء الدين قراقوش" اللي أفردت له قصته في الجزء الأول من السلسلة.

قراقوش كان حاجه كده زي وزير أشغال، وصلاح الدين كلفه بمهمة بناء قلعة وسور حجري لها، وده كان في سنة ١١٧٦م وفضل يبني فيها ٨ سنين بحالهم هدم في خلالهم بعض الأهرامات الصغيرة اللي كانت بالقرب من أهرام الجيزة الحالية، واستخدم حجارتها في بناء السور، وكمان استخدم الأسرى الصليبيين في الشغل.

صلاح الدين مقعدش في القلعة اصلا لان لما اكتمل بناها كان هو مات، حتى ابنه السلطان "العزيز عثمان" مقعدش في القلعة كتير، لا هو ولا أخوه من بعده "الملك العادل"، لكن بعدهم جه الملك "الكامل محمد" وأقام إقامة

كاملة في القلعة، وده كان أول ملك يسكن القلعة فعليًا، والكلام ده كان سنة ١٢٠٧م، وبالتالي فقدت القاهرة الفاطمية مركزها كقاعدة للحكم، وبعد ما كانت القاهرة مكان الأغنياء والمسئولين في الدولة، بقت مكان للشعب كله بكل طوايفه، وبدأت الأنشطة التجارية تملى المكان قرب قصور الفاطميين، وبالأخص حوالين "قصبة القاهرة" اللي هى شارع المعز لدين الله.. وابتدت الاسواق تكتر في منطقة القاهرة من سوق النحاسين والسروجية والسيوفية والخيامية وغيرها من الحرف.

وكمان الملك "الكامل محمد" نقل سوق الجمال والخيل والحمير لميدان الرميلة تحت القلعة، وبدأت الناس تعمر الأماكن اللي حوالين الحتة دي زي الدرب الاحمر والبساتين، بعد ما كانت المناطق دي مقابر وبس.

ازدهرت منطقة القلعة بسبب ازدهار القلعة نفسها، لغاية ما جاء السلطان "الصالح نجم الدين أيوب" ونقل مركز الحكم لمنطقة الروضة اللي بنى فيها ثكنات للجند المماليك، وبنى قلعة هناك واتسمت بإسم "قلعة الروضة" عشان يبقى قريب من جنوده المماليك، وبالتالي ضعف مركز قلعة صلاح الدين.

بعد كده جه السلطان "الظاهر بيبرس" وعمل حاجات كتير عشان يحيي القلعة من جديد، زي مثلا القصر اللي بناه قدام ميدان الرميلة وسماه "الدار الجديدة"، وكمان بنى "دار العدل" تحت القلعة عشان يتعرض عليه العسكر كل يوم اتنين وخميس.

وكان حصل في عهده غلاء شديد وبقى أردب القمح يتباع بـ ١٠٠ درهم والعيش بقى قليل والناس جاعت، فنادى السلطان على الفقراء عشان يتجمعوا تحت القلعة واتجمع مع وزرائه في "دار العدل" وطلع قرار بإبطال

التسعيرة بتاعة القمح، وأصدر مرسوم للأمراء انهم يبيعوا ٥٠٠ أردب قمح كل يوم ما تتوزعش إلا على الفقرا والأرامل عشان دول ميقدروش يتزاحموا عشان ياخدوا حصتهم، وأمر ان كل أمير يتحمل نفقة وإعاشة بعض الفقرا، والسلطان نفسه اتحمل نفقة وإعاشة الألوف من الفقرا، وكمان حمّل ابنه السعيد نفقة آلاف تانيين من الفقراء، وأمر الحُجّاب ينادوا على الفقراء عشان يتجمعوا تحت القلعة ويوزع عليهم القمح ونادى فيهم قائلا: **(والله لو كان عندي غلة أخرى تكفي لكم لفرقتها)**

أما في عهد السلطان "الناصر محمد بن قلاوون" فكانت القاهرة الفاطمية مختلفة، والناصر محمد له الفضل في ازدهار القاهرة الفاطمية بسبب العمران والمنشآت اللي بناها حتى قال "ابن فضل العمرى": **(إن حاضرة مصر كانت تشتمل على ٣ مدن عظيمة في مدينة واحدة – الفسطاط – القاهرة – قلعة الجبل)**

فالسلطان الناصر محمد هو اللي بنى الطبلخانة مكان دار العدل، وهو اللي بنى قناطر مجرى العيون، وهو اللي حفر الخليج الناصري اللي بياخد المياه من النيل للشمال.

وطبعا بسبب ان مركز الحكم اتنقل للقلعة، ده خلى رجال الدولة والساسة الأمراء ينقلوا سكنهم بالتبعية للمنطقة المحيطة بالقلعة ويبنوا هناك منشآت وبيوت ليهم، وطبعا أبرز المنشآت في المنطقة دي مسجد السلطان حسن، التحفة المعمارية الرائعة، واللي بيعتبروه أضخم الجوامع في العالم الإسلامي، وخد ٣ سنين يبنوا فيه لغاية ما تم افتتاحه سنة ١٣٦٠م واتكلف اكتر من ٢٠ مليون درهم وكان اكتر المنشآت تكلفة في مصر.

ميدان القلعة ازدهر جدا في عهد السلطان قنصوه الغوري، بعد ما شق السلطان قناطر العيون اللي كانت بتمد القلعة بالمياه من النيل، واللي كانت من العجايب، حتى ان ابن اياس وصفها بقوله: (**جاءت هذه المجراه – أي القناطر – من العجائب والغرائب، ولكن صُرف على بناءها مالا ينحصر من الأموال وغالبه من وجوه المظالمات والمصادرات)**.. يعنى ابن اياس كان بيعتبرها من العجائب وفي نفس الوقت بينتقد الاسراف فيها.

والغوري بلغ عنده البذخ مبلغه لما أنشأ بساتين وشجر كتير، وكان الغوري بيقعد فخور جدا باللي عمله على دكة مطعمة بالعاج والأبنوس مفروش فوقها مظلة من فروع الياسمين،

وابن اياس لسه بيكمل وصف بستان الرميلة وبيقول: (**وفى هذا المكان كانت تقام حفلات باذخة في مناسبات وأعياد متنوعة، ويجري أيضا استقبال الوفود الرسمية والسفارات)**

وكان ميدان الرميلة أو القلعة عبارة عن جنة تفوق جنينة الاورمان حاليا، كما وصفه "عباس الطرابيلي" في خططه.

ولكن تعالوا نعرف معنى "الرميلة" وليه اتسمى بالاسم ده فترة طويلة، خصوصا في آخر أيام المماليك؟؟

المماليك كانوا مغرمين بالفروسية بحكم نشأتهم وتربيتهم العسكرية، فحولوا ميدان القلعة لمكان للتدريبات على الرمي بالسهام والقوس والرمي بالنشاب والبندقة – يعنى البندقية في بداية ظهورها – وبقت تدريباتهم بصفة دورية في المكان ده عشان يحافظوا على لياقتهم، فتحول الميدان لميدان للرمي أو الرماه أو الرماية، ومن هنا جت التسمية بـ"ميدان الرميلة"،

والغريب ان الميدان بردوا شهد على صراعات واشتباكات بين المماليك على السلطة، وبقى ميدان معارك وحرب.

بعد كده جه العثمانيين واستخدموا الميدان كميدان للحرب واطلقوا منه مدافعهم اتجاه القلعة لتهديد السكان والمماليك اللي مستخبين عشان يستسلموا، واستخدموا كمان مسجد السلطان حسن عشان يضربوا منه القلعة، وبسبب كده هرب السكان من المنطقة وهجروها.

وكمان لما زاد عدد العسكريين في منطقة القلعة زي "سوق السلاح" و "سويقة العزي" عشان يبقوا قريبين من مقر الحكم، ده جعل طبقة الأرستقراطيين يهربوا من المنطقة هما والتجار كمان.

لما حكم "محمد علي" مصر، قرر يعيد مكانة القلعة العسكرية، وحصنها من الناحية الشرقية بتحصينات جديدة، خصوصا بعد ما تخلص من المماليك في مذبحة القلعة الشهيرة، وبنى قصر الجوهرة اللي حكينا عنه في الجزء الأول من السلسلة على انقاض مباني المماليك القديمة، وبقى القصر هو المكان اللي بيحكم منه، وبدأ يبني جامعه المشهور تحت القلعة، وحط أساسه سنة ١٨٢٨م.

بعد كده بنى جوه القلعة مقرات للجيش المصري اللي كان بيحلم بيه، واللي كان بيشرف على تجهيزه الكولونيل الفرنسي أحد قادة جيش "نابليون" اللي أسلم وبقى اسمه "سليمان باشا الفرنساوي"، وكان رئيس أركان الجيش ووزير الجهادية. بنى محمد علي مصنع للأسلحة والبارود، وبنى الوزارات والدواوين، وبكده في عهد محمد علي رجعت منطقة القلعة تتملي بالسكان تاني، ووصل منطقة القلعة بالعتبة الخضراء والدرب الأحمر عن طريق الشارع المشهور "شارع محمد علي".

وبالرغم ان أولاد محمد علي من الحكام سواء "إبراهيم باشا" أو "عباس حلمي الأول" أو "سعيد باشا" بنوا قصور ليهم برا القلعة، لكن فضلت القلعة هي مقر الحكم الرئيسي لغاية ما جه الخديوي إسماعيل وصلح ميدان الرميلة ووصله بشارع محمد علي عشان يبقى من أكبرميادين القاهرة.

والخديوي إسماعيل ينسب له تجديد أسوار القلعة بالرغم أنه اول حاكم من فترة طويلة ينقل مقر الحكم من القلعة لمنطقة "عابدين" لما بنى القصر الكبير اللي موجود هناك لغاية دلوقتي واتسمى بنفس اسم المنطقة.

وبكده انتهى عصر القلعة كمقر للحكم من أيام الملك الكامل محمد، مرورًا بالمماليك والعثمانيين ومحمد علي، انتهاء بالخديوي إسماعيل

وبالرغم ان المنطقة اللي تحت القلعة اتسمت بأسماء كتير سواء "ميدان الرميلة" أو "ميدان محمد علي"، ولكن قبل ما يبقى اسمه "ميدان القلعة" كان اسمه "ميدان القره قول"

والقره قول معناه قسم الشرطة، والاسم اتحرف بعد كده لأسامي كتير وبقى الاسم المشهور "كراكون"، ولكن الاسم اللي فضل موجود للميدان ده واستمر حتى وقتنا الحالى هو "ميدان القلعة".

الغوري والزنكلوني



هى قصة حب زي غيرها من القصص اللي مليانة بيها كتب التاريخ، لكنها مختلفة شوية عن غيرها، ولولا أن أبطالها كانوا ساسة وقضاه ماكنش حد أفرد لها مساحة عشان يحكيها زي ما "إبن إياس" عمل، ولولا حظ "نور الدين المشالي" و "فاطمة" الهباب ووجودهم من ضمن طبقة السياسيين مكناش سمعنا عن اسمهم أصلا.

القصة دي من زمن المماليك، وبالأدق في أواخر الزمن ده اللي أحداثه كانت مادة خصبة للباحثين، وبالتحديد قبل دخول العثمانيين مصر بـ ٤ سنين بس العصر ده اللي في بداياته كان مشهور بالاستشهاد والبطولات والصولات والجولات اللي قام بها سلاطين المماليك ضد التتار والصليبيين، انتهى بعد كده بالفساد والرشوة والمحسوبية والأخلاق الفاسدة.

ونبدأ نتكلم ونقول ان في سنة ١٥١٣ م اتفجرت قصة حب مابين "نور الدين المشالي" و "فاطمة"

بطل قصتنا الأول هو "نور الدين المشالي"، وده كان أحد قضاة الحنفية اللي بيحكموا بمذهب الإمام أبى حنيفة النعمان

النظام القضائي في مصر بعد ما الفاطميين مشيوا وحل مكانهم الأيوبيين كان على مذهب واحد وهو المذهب "الشافعي"، وفضل الحال ماشي على كده لغاية ما جالنا السلطان المملوكي "الظاهر بيبرس" اللي قال لأ احنا لازم نحتكم للأربع مذاهب وتبقى ماشية شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي، وفضل الحال ده، وكان بيتم تعيين قاضي لكل مذهب ويبقى هو "قاضي القضاه"، وبعد كده كل قاضي من دول يعين نواب ليه في كل منطقة وقرية، وكانت مجالس القضاء كلها بتتم في المساجد برئاسة نائب القاضي، اللي بيحل المشاكل وبيسمع الشهود ويطبق أحكام الشريعة، السلطان لوحده هو اللي

له الحق في تعيين "قاضي القضاه"، أما النواب فكان بيتم تعيينهم من قاضي القضاه، وكان عدد نواب كل مذهب حوالي ٣٠٠ نائب.

فى منتصف عهد المماليك كده أصبحت مهنة القضاء من المهن المهمة جدا، ومكانتش بتقف عند الفصل في القضايا وبس.. لا ده كمان القاضي بينظر في قضايا الاحوال الشخصية ويختص بكل القضايا الجنائية كمان، وبيؤم الناس في الصلاة، وبيشرف على دار ضرب النقود، وزادت اختصاصاته أكتر وبقى يختص بقضايا إثبات النسب، وأموال اليتامى هو اللي كان بيشرف عليها، والمواريث وكمان الأوقاف.

وعشان كده المهنة دي كانوا بيتهافتوا عليها مع إنها تكليف مش تشريف، وكان عشان تبقى قاضي لازم تدفع رشوة للسلطان عادي خالص، وكانوا بيسموها "المعلوم"، وكانت عاملة زي المزاد.. اللي يدفع اكتر للسلطان يبقى هو قاضي القضاه، وقاضي القضاه عشان يلم الفلوس اللي دفعها يقبض المعلوم من النواب بتوعه اللي بيتعينوا بنفس الطريقة، وبالتالي النواب دول بيلموا فلوسهم من الشعب المسكين بأي طريقة، حتى لو كانت بالزور.

عامة الزمن ده كانت كل المناصب المهمة مش بتتم إلا بالرشوة للسلطان، "ونور الدين المشالي" اللي وصل لمنصب نائب الحنفية كان مثال على كده، وبالرغم ان في السنة دي كان مرض الطاعون ضارب في البلد والقحط كان هو السمة الرئيسية لأغلب الشعب، لكن المشالي كان حويط وكان في الوقت ده من الناس اللي معاها فلوس ومبشبشة معاه، وطبعا كله بالرشاوى.

كان يطلع من أول الصبح لدكان الشهود ويدعى ربنا ان يجيله اتنين متخاصمين عشان يصلح بينهم يكونوا ميسورين الحال ومعاهم القرشينات عشان يطلعله منهم سبوبة حلوة، ودكان الشهود ده مكان بيديره واحد

مهمته إنه يورد شهود للقاضي في أى قضية، حتى لو كانوا شهود زور للى هايدفع أكتر من المتقاضين.

نور الدين كان يروح بيته العصر يقعد مع ولاده شوية لكن دماغه مشغوله بحبيبة قلبه "فاطمة".

وفاطمة بطلة قصتنا كانت مرات صديق المشالي القاضي "غرس الدين خليل" قاضي الشافعية، والبطل التالت للقصة.

الاتنين كانوا تقريبا في سن بعض وظروفهم متشابهة لأبعد حد، فكل واحد فيهم اشترى المنصب بتاعه بالرشوة، وبالرغم ان السلطان عزل القضاه بتوعهم كذا مرة لكن هما بفلوسهم قدروا يحتفظوا بالمناصب بتاعتهم اللي كانوا بيدفعوها لكل قاضي جديد. لكن "المشالي" كان مطمئن أكتر من صديقه "غرس الدين خليل" في احتفاظه بالمنصب، لأن قاضي قضاة الحنفية "عبد البر بن الشحنة" كان صديق السلطان الغوري وكان واثق ان السلطان مش هيقلب عليه، وبالتالي مش هيضطر يدفع فلوس للقاضي الجديد تاني.

الصديقان "المشالي" و "خليل" كانوا دايما يقعدوا مع بعض يتسامروا، لكن قصة الحب اللي نشأت بين المشالي وفاطمة زوجة صديقه كانت دليل على قذارة العصر ده اللي انتشرت فيه الرذيلة، بالرغم من ظهوره بمظهر الوقار والقوة، لكن الزنا والبغاء كان رسمي وبموافقة الدولة، وكمان انتشر الشذوذ لدرجة خلت المؤرخين يستثنوا سلطان واحد على خلق من عشر سلاطين، حتى إن ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة كان بيوصف واحد من السلاطين فقال: (**إنه لم يكن له ميل للشباب كعادة الملوك من قبله**) وكأن الطبيعي في العصر ده هو الشذوذ.

خليل والمشالي كان لهم صديق تالت اسمه "شميس"، والراجل ده بقى كان حدوتة. ليه بقى؟؟ لأن شميس كان بيحب فاطمة، وفاطمة كانت بتبادله نفس الحب، وفجأة لقاها اتغيرت عليه وهو مش عارف ايه الحكاية.. (ومين اللي مايحبش فاطمة) واضح ان فاطمة دي كانت فاتنة جدا

المهم.. ان شميس قعد يراقب فاطمة لفترة كده لغاية ماعرف انها هجرته وبقت تحب "المشالي"، عشان كده بقى يكره المشالي وميحبش يقعد معاه

وفى ليلة من ذات الليالي، وكان بعد عيد الفطر والعيد ده كان موسم بالنسبة للقضاه، عشان الأفراح والطهور والذي منه وكل ده بيشرف عليه القضاه، وكانت السبوبة حلوة في الأيام دي.

بعد العيد بيومين قرر غرس الدين خليل زوج فاطمة انه يروح يريح أعصابه شوية عند مقام "الليث بن سعد"، وفعلًا خرج من البيت لقى قدامه "شميس" اللي كان قاعد قدام بيت خليل يترقب الأحداث، خليل عرض على شميس انه يروح معاه لكن شميس اعتذر طبعا لأنه كان في مهمة خاصة جدا وهى مراقبة فاطمة ذات نفسها.

بعد شوية من المراقبة لقى خادمة فاطمة نازلة من البيت بتتسحب كده، فراح جري وراها عشان يشوفها رايحة فين، وفعلا لقاها وقفت مع واحد من أتباع المشالي واتكلمت معاه شوية، بعدها بشوية لقى الراجل اللي تبع المشالي ده دخل بيت فاطمة ومعاه شنطة فيها حاجات. حس شميس ان في أمر مريب، وفعلا احساسه مكدبش لان بعد شوية شاف "المشالي" داخل بيت فاطمة، ودي كانت الفرصة اللي مستنيها شميس، واللي مكدبش خبر وجري على مسجد الامام الليث حيث "خليل" المسكين وراح مبلغه الحكاية من طقطق لسلامو عليكو

خليل مكدبش خبر وأخد الحمار بتاعه وجرى على البيت، ولما وصل قرر انه مايخشش من الباب عشان مايحسش العشيقان بيه، وطلع من الشباك ودخل عليهم وقفش العشيقين على سريره، وقفل الباب وهات ياضرب في الاتنين.. "المشالي" كان سكران، ولما فاق حاول يسترضي "خليل" وعرض عليه صك بألف دينار، وفاطمة كمان حاولت تسترضيه وعرضت عليه التنازل عن كل متاع البيت، لكن ده زاد من غضب خليل، اللي قفل الباب عليهم من بره وخلى حراس يقفوا عليه لغاية ما يروح للحاجب عشان يقبضوا على العشيقين، وبالفعل الحاجب أمر بالقبض عليهم.
أول ماوصلوا العشيقان عند حاجب الحُجّاب اعترفوا بكل حاجه تفصيليًا عشان يخلصوا م الليلة دي، وهما عارفين ان في الزمن ده عقوبة حاجة زي كده هتكون بسيطة، وبالفلوس ممكن تخلص كل حاجة، لكن الفضيحة مش هتكون حلوة خالص، خصوصًا لواحد قاضي زي ده

حاجب الحُجّاب راح بسرعة بعت لواحد من زملاء خليل وهو القاضي "شمس الدين ابن وحيش" وخلى المشالي يعترف مرة تاني قدامه بالزنا عشان يوقع القاضي ان الاعتراف تم من غير تعذيب ولا كهربا وكلام من ده، وبسرعة أمر حاجب الحجاب بضرب المشالي ضرب جامد لدرجة انه كان هيموت وفاطمة كمان اتضربت من الجنود.
لكن الأصعب والمفاجأة ان حاجب الحُجّاب كمان أمر بتجريسهم في شوارع المحروسة على حمارين بالمقلوب، ودي كانت عقوبة مشهورة أيام المماليك، وتاني يوم الصبح ركبوا المشالي الحمار بالمقلوب ولبسوه العمة عشان الناس تعرف انه قاضي وفاطمة كمان ركبت الحمار بالمقلوب وعلقوا في رقبة كل

واحد فيهم "ماشة" و "هون" وطافوا بيهم في شوارع المحروسة في منطقة الصليبة والسيدة زينب، ورجعوا بيهم على حاجب الحُجّاب، وضربوهم تاني قدام الناس بالسياط.. وبيتهيألي كده الموضوع انتهى!!

العجيب انه منتهاش لأن حاجب الحُجّاب قرر يطلع هو كمان بسبوبة من القصة دي، فراح طلب من العشيقان فدية عشان يمشيهم كل واحد فيهم يدفع ١٠٠ دينار!!

طبعا نور الدين المشالي دفع فورا عشان يمشى، أما فاطمة فقالت انا مش معايا فلوس وجوزي خد كل حاجه مني، يسكت حاجب الحُجّاب ويمشيها؟!

لا.. راح جايب جوزها غرس الدين خليل وقاله ادفع لمراتك!!

الراجل اتجنن.. إزاي ادفع لمراتى فلوس عشان تخرج، ده انا اللي جاى ابلغ عن الخاينة دي وعايز حقي منها، ولما شاف حاجب الحُجّاب رفض الزوج، أمر بالقبض على الزوج المخدوع والإفراج عن العشيقين "المشالي" و "فاطمة"،

والموضوع اتقلب خالص.

لكن اللي انقذ الزوج المخدوع إبنه الصغير اللي في اليوم التاني كان قاعد في الطريق وشاف موكب السلطان الغوري، فوقفه وحكى له على كل اللي حصل بشجاعة، وفى الوقت ده الدنيا اتقلبت لأن الموضوع وصل للسلطان حتى إن ابن اياس بيوصف المشهد ده وبيقول: **(إتسع الخرق على الراقع وفشى الكلام بالمواقع)**

طبعا الأيام مرت بسرعة من وقت ما حصلت الحادثة دي لغاية يوم ١٥ ديسمبر ١٥١٣ ودخل الغوري قصره الكبير بعد ما استدعى القضاه كلهم

قدامه ووزع عليهم نظرات غاضبة وصاح فيهم: (**والله افتخرتم يا قضاة الشرع، نوابكم شيء يشرب الخمر، وشيء يزني، وشيء يبيع الأوقاف**)
وكان بيقصد بالأخير ده القاضي "عبد البر بن الشحنة" صاحبه قاضي قضاة الحنفية، لأنه كان ماسك الأوقاف وكان بيأجرها بمبالغ بسيطة مقابل رشاوى.
المهم.. القضاه سكتوا ومردوش، فسأل السلطان عن القاضي "ابن وحيش" اللي شهد على اعتراف المشالي وفاطمة، ولما وقف قدامه سأله السلطان تاني عن شهادته فأقر بالاعتراف اللي شهد عليه
فسأله: **وما حكمك فيهم يا ابن وحيش؟**
قال ابن وحيش: **لقد ثبت عندي رجمهما ولابد من تطبيق الحد.**
فقال له السلطان: **إذن أصدر حكمك**
ابن وحيش حب يلف ويدور عشان مايصدرش الحكم ده، فقال للسلطان انا مجرد نائب ولازم أخد الإذن من قاضي قضاة مذهبي، اللي هو "كمال الدين الطويل" القاضي الشافعي، وفعلا أذن له بإصدار الحكم وانفض المجلس على كده بعد ما قضاة الشرع اصدروا حكمهم برجم المشالي وفاطمة، وفعلا قبضوا على الاتنين وحطوا المشالي في سجن المقشرة وحطوا فاطمة في سجن الحجرة وحفروا للاتنين حفرتين عشان ينزلوا فيها ومايبانش منهم غير راسهم.. وانفض المولد على كده، والامور ماشية زي الفل أهو والحد هيطبق، اللي أصلا مكنش بيطبق قبل الحادثة دي، ومش فاضل غير معاد التنفيذ، لكن عشان الزمن بتاع المماليك ده زمن عجيب وصعب انك تتوقع حاجة فيه، فالقصة ما انتهتش على كده خالص. وتاني

يوم كان السلطان الغوري مشغول بخروج موكب المحمل للأراضي الحجازية،

وظهر في المشهد بطل جديد للقصة وهو "شمس الدين الزنكلوني" وده كان قاضي شافعى وزميل لنور الدين المشالي، صاحبنا ده كان عايز ينقذ زميله وكان داهية ولقى حل سحري لانقاذ زميله، راح مسرب رسالتين واحدة راحت للمشالي في محبسه والتانية راحت لفاطمة بيقولهم فيها ابعتوا هاتوا قاضي واتراجعوا عن اعترافكم بالزنا قدامه.. في الوقت اللي كان الزنكلوني بيحضر فتوى شرعية على هيئه سؤال ويقدمه للقضاه ومشايخ الإسلام والرسالة كان نصها: (**رجل زنا واعترف بالزنا ثم رجع عن ذلك الاعتراف فهل يسقط عنه الحد أم لا؟**)

وبدأ الزنكلوني جولته بمشايخ الإسلام وعلى رأسهم شيخ جليل وقاضي سابق لقضاة الشافعية كان تم عزله من منصبه عشان راجل شريف واتعين مدرس في احد دور العلم ومعروف عنه تفقهه في الدين وخلقه، وراح الزنكلوني مقدم له السؤال مكتوب ورد عليه الشيخ بردوا برسالة مكتوب فيها الإجابة اللي كان نصها بيقول: **إذا رجع الزاني عن الإقرار باعترافه بالزنا سقط عنه حد الرجم وغير ذلك من الحدود)**

الزنكلوني مكدبش خبر وكمّل جولته على مشايخ الاسلام والقضاه يسألهم نفس الرسالة وكان بيتعمد يظهر اجابة الشيخ "ابن ابي شريف" عشان المشايخ كانت بتحترمه فكانوا بيشوفوا اجابته ويجاوبوا نفس الاجابة ويقروا فتوته

فى اليوم التاني قاعد السلطان في قصره وبيسأل عن القضية وتطوراتها قاموا قالوا له ان المتهمين تراجعوا عن اعترافهم وسقط عنهم الحد.. السلطان

اتجنن وغضب جدا وصرخ في وشهم وقال: (**يا مسلمين.. رجل يطلع إلى بيت أخر ويفسق في زوجته ويقبض عليه تحت اللحاف معها ويعترف بذلك ويكتبه بخط يده وبعد ذلك تقولون له حق الرجوع!!**)

وقام بعت بسرعة لصاحبه القاضي "عبد البر بن الشحنة" وعرض عليه الحكاية، عبد البر قاله يا مولاي لا طبعا لازم يقام عليهم حد الرجم حسب الشرع، وانت اول من طبق الشرع، وعشان يخرج من المشكلة دي من غير ما القضاه يغضبوا عليه اقترح على السلطان انه يعمل مجلس قضائي شرعي يفصل في الموضوع.

وفعلا عقد السلطان أكبر مجلس قضائي شرعي في تاريخ مصر وده كان يوم ٢٣ ديسمبر ١٥١٣م، وده لأن اللي كانوا حاضرين مش قضاه وبس، لكن شيوخ القضاه اللي تركوا مناصبهم كانوا موجودين، ونظار المعاهد الدينية والمدارس وكبار شيوخ الأزهر ومن بينهم القاضي "برهان الدين ابن ابي شريف" صاحب الفتوى.

السلطان لما اكتمل المجلس عاد رأيه تاني وقال ان الحد لازم يقام عليهم ومفيش حاجه اسمها حق الرجوع وكان "ابن ابي شريف" هو الموكل بالرد عليه، لكن واحد من "الحنابلة" لخص اراء الفقهاء في الموضوع ونقل قول الإمام ابن تيمية بقوله: (**حد الزنا لا يقام حتى يشهد على الزاني أربعة شهداء أو يشهد على نفسه أربع شهادات عند كثير من العلماء أو أكثرهم، ومنهم من يكتفي بشهادته على نفسه مرة واحدة، ولو أقر على نفسه ثم رجع فمن الفقهاء من يقول يسقط عنه الحد، ومنهم من يقول لا يسقط**)

السلطان الغوري مسك في الحتة الأخيرة من الفتوى وهى رأى الفقهاء بأن الحد لا يسقط، لكن الفقهاء اللي كانوا قاعدين اتمسكوا بسقوط الحد وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ادرأوا الحدود بالشبهات**)

الواقع إن كل الحاضرين مختلفوش نهائيا في إن فاطمة والمشالي زنوا وان حد الرجم واجب عليهم، ولكن اختلافهم في انهم رجعوا عن اعترافهم ومفيش اربع شهود

المناقشة طولت والسلطان بقى على أخره وراح موجه كلامه لبرهان الدين ابن ابي شريف بقوله: (**يا شيخ برهان الدين أنا ولي الأمر ولى الحق في إتخاذ ما أراه**)

رد الشيخ بكل هدوء: (**نعم يا مولانا ولكن بموافقة الشرع، فإن قتلهم دون أمر الله تلزمك ديتان عنه**).. يعنى بيقولوا بالطريقة كده تبقى انت قتلتهم

السلطان غضبه زاد ولكنه كتم غيظه وبص لشيخ تاني من قضاة الشافعية وهو "الشيخ زكريا" وسأله عن رأيه، فأيد رأي زميله، فقال السلطان له: (**هذا يبقى في ذمتك؟**) يعنى العهده عليك ؟؟

فقال الشيخ: (**إيش أكون أنا! يبقى في ذمة الإمام الشافعي صاحب المذهب**)

السلطان غضبه زاد تاني.. راح اتدخل شيخ تاني اسمه "نور الدين المحلي" وقاله: (**يا مولانا ان الحكم الذي أصدره شيوخ القضاء ومشايخ الاسلام بصحة سقوط الحد عند الرجوع عن الاعتراف هو الحق وهو نص ما نقله الامام الشافعى وغيره رضى الله عنهم، فلا عبره باعتراف الزاني إذا رجع عن الاعتراف**)

فى الوقت ده فقد السلطان أعصابه وصرخ في المحلي: (**إن شاء الله يا شيخ محلي تطلع بيتك فتجد من يفعل في زوجتك الفاحشة كما فعل المشالي في زوجة خليل**)

رد المحلي: (**عافانا الله من ذلك يا مولانا**)

بص السلطان الغوري حواليه لقى قدامه صديقه "عبد البر بن الشحنة" واعتقد ان ده هو اللي هينصره فسأله عن رأيه، فوافق عبد البر رأى الفقهاء والمشايخ راح السلطان شتمه وصرخ فيه: (**أنت تقرر معى شيئا وترجع عن ذلك، كنت قلت هذا من الأول حتى أعرف أمر الرجوع**)

السلطان كان جاب أخره خلاص وانفجر غيظه في القضاه الأربعة وقالهم قوموا من قدامى انتوا الأربعة مفصولين من القضاء

وتاني يوم اصدر قرار بعزل الشيخ برهان الدين ابن ابي شريف من منصبه كناظر مدرسة السلطان ونفاه للقدس واصدر قرار بعزل القضاه الأربعة، ومافضلش غير الزغلولة الكبيرة بقى "شمس الدين الزنكلوني" اللي وقعه في الورطة دي وأمر بالقبض عليه ولما جابوه للسلطان قال له: (**يا زنكلوني حكمك أنت يمشي، وحكمي أنا يبطل؟**)

وأمر بضربه ألف عصاية وضربه ولاده كمان ٦٠٠ عصاية حتى قيل انه مات وولاده بقوا هما والعدم سواء.

وفضلت مصر ٥ أيام بحالهم بدون قضاه واتعطلت مصالح الناس ومفيش حكم شرعي طلع في الأيام دي خالص ومفيش حد اتجوز واتعطلت قضايا الناس وتجارتهم، وغضب السلطان زاد ورصد مكافأة كبيرة لأي حد يشوف واحد من الفقهاء ماشي سكران في الشارع ويبلغ عنه، ومنع أي حد يخش عليه بعمامة القضاء.

الأمراء حاولوا يشفعوا للقضاه عند السلطان عشان يرجعوا مناصبهم ولكنه حلف براسه ما يرجع فيهم حد لمنصبه، و "ابن اياس" بيقول: (**ولم يتفق قط أن القضاه الأربعة يعزلون كلهم في يوم واحد إلا في هذه الواقعة التي جرت، فعدت من النوادر الغريبة**)

والقصة أوشكت على نهايتها، والسلطان الغوري قلب الترابيزة على الكل، وبدّل الحكم من دماغه، وبدل ما كان رجم أصدر قرار بشنق العاشقين

وجاء يوم ١٠ يناير ١٥١٤م وجاب الاتنين من سجنهم ونفذ السلطان عليهم الحكم بطريقه أغرب حكاها ابن اياس: (**شنقوهما في حبل واحد وقد جعلوا وجه الرجل في وجه المرأة، وكانت فاطمة تلبس إزارها وعليها أثوابها مسبولة وظلت جثتاهما معلقتين ثلاثة أيام ووجهاهما وجسداهما ملتصقين والناس يأتون من كل فج عميق لكى يشاهدوا النهاية المفجعة لقصة حب**)

الحادثة دي هزت قلب شاعر مغمور وركيك اسمه "محمد بن الصايغ" فيقول:

أيا لهما من عاشقين عليهما... قضى من قضى بالموت حتما وأشنقا

فقلبيهما عند الحياة تآلفا... وجسميهما عند الممات تعانقا

وفى اليوم التالي اصدر السلطان قرار بتعيين ٤ قضاه جدد، لكنه غيّر النظام القضائي وخلى تعيين نواب القضاه بإذن منه شخصياً.

أما بالنسبة لإصرار السلطان الغوري على تطبيق الحد، ده ماكنش لأنه عايز يطبق حد شرع فعلا، ولكن الغوري في الوقت ده كانت البلد فيها مشاكل كتير بتواجهه، زي مرض الطاعون والفقر اللي الناس عايشة فيه والفساد اللي كانت البلد غرقانة فيه، ده غير أمراء المماليك اللي كانوا ناهبين الشعب، وده كله جعل الناس تتكلم وتقلب عليه، وهو لقى في حكاية زي دي شعرة

يمسك فيها ويخلي الناس تنشغل بيها عن فساده، ويقولوا ان سلطاننا هو اللي طبق الشرع، لكنها مش حقيقة نهائيا، فهي حق يراد به باطل.

وخلصت.

جـان، الخاين، حسن



دي حكاية عن قصة الخيانة وجزاءها، والحكاية دي لها ٣ أبطال، التلاتة تصوروا للحظة أنهم ممكن يعدوا بخيانتهم عادي خالص، لكن ربنا كان لهم بالمرصاد.

البطل الأول للحكاية دي هو الأمير "جان بردي الغزالي"، وفى مصادر اخرى كان بيتكتب اسمه قنبردي الغزالي، واللي كان "نائب حماة " في الشام وقت دخول العثمانيين.

ونبدأ كدا من الأول نقول نبذة عن تاريخه

جان بردي أو قنبردي كان زي غيره، مملوك وجلبوه إلى السلطان قايتباي فاشتراه وأعتقه واداله رتبة وخيل وكسوة الخ، ومن بعدها ابتدى يمسك مناصب منها جمع الايرادات في قرية اسمها "منية غزال"، ودي حسبما يقول المقريزي في الجهة الشرقية من المحلة ونسبة إليها أخد لقب "الغزالي"، وبعدين اترقى وبقى جمدار أى "مسئول عن الزي السلطاني والكساوي"، ثم أمير عشرة، وبعدين لما مسك السلطان الغوري الحكم اتعين محتسب للقاهرة، ودا كان منصب مهم وكبير وبضرب النار والرشاوى، وبعدها بعته الغوري على الشام وبقى حاجب حُجّاب حلب ثم نائب لصفد ثم نائب لحماة

لازم الأول نعرف ان بين السلطان قايتباي وبين السلطان الغوري بتاع ٢٠ سنة كدا، جه فيهم (٥) سلاطين، وقايتباي الأب قعد بتاع ٢٩ سنة في الحكم، والغوري كاد يكمل ١٦ سنة يعنى احنا بنتكلم في فترة زمنية كبيرة نقدر نخمن منها ان جان بردي دا وقت الغزو العثماني كان عضمة كبيرة، يعني مكنش بأي حال م الأحوال هيقل عن ٥٥ أو ستين سنة، دا بافتراض انه جه في نص فترة قايتباي وعلى ما مسك منصب لازم يكون عدى

العشرين أكيد، والسن مهم لأن دا اللي خلاه يعتبر نفسه الأعلى كعبا على كل المماليك ويطمع في السلطنة بعد ما السلطان الغوري مات.
والموضوع بدأ قبلها بكتير، لما بدأت الدولة المملوكية في الضعف والانحلال بفعل عوامل كتير، أولها وأهمها فساد الحكام وبطانتهم والطمع والتكالب على السلطة والثروة وإهمال أحوال البلاد والعباد والتناحر بين الأمراء ودناوة نفسهم من أصغر راس لحد السلطان، وأقصد بهذا الغوري شخصيا دونا عن غيره، واللي لما الأمراء اجتمعوا بعد قتل "العادل طومان باي"- ودا غير الأشرف طومان باي اللي أعدمه سليم الأول فيما بعد- وقالوا نسلطن الغوري إكمنه ضعيف ومكنش عاوز يتسلطن وخاف ليقتلوه، ويا دوب قعد وبقى كل همه الفلوس واللبس الفاخر والجواري ومجالس الطرب الخ، ولأن معاه الأمراء وسلاحهم، فبالتالي مش مهم حال البلد اقتصاديا، المهم فيه ضرايب بتتلم من لحم الناس، وفيه أمراء وجنود بيقبضوا فلوسهم بالبلطجة، لحد ما ربنا يبعتله واحد اسمه سليم الأول عشان ينكد عليه أيامه بدون مناسبة.
وبدون تفاصيل "سليم الأول" حسب المصادر فيما يبدو مكنش ناوى يغزو مصر لولا ولاد الحلال اللي أوغروا صدره، والأزمة اللي حصلت بين الدولتين فشلت الدبلوماسية في حلها وراحت في سكة القتال بفعل الخونة برا وجوا
من برا زي بعض نواب الشام ومنهم جان بردي الغزالي، وزي خاير بيك الشهير بخاين بك، ومن جوا... منهم فيهم الغوري وكل واحد في بطانته ساعد بالظلم والفساد في تحلل الدولة وانهيارها مع أول زقة.

الملخص سليم الأول انتوى الزحف لمصر وبعت بذلك للسلطان الغوري، اللي جمع الأمراء ولم كل الفلوس اللي يقدر يلمها وخرجوا جميعا إلى الشام لملاقاة جيش سليم، وساب ابن اخوه "طومان باي" نايب له يدير شؤون البلاد. وفى مرج دابق يلتقي الجمعان وينهزم المماليك لعدة أسباب، أولها الخيانة والانقسام في الجيش بين مماليك جلبان وقرانصة وخاصكية... دول كلهم فئات مختلفة، وكلهم كانوا ضد بعض، وانت اللي تحارب لأ انت.. لأ أموت انا وانت تخلص مني.. لأ مش محارب الخ.. لحد ما حط عليهم سليم وتفوق بالمدفعية على الفروسية الهاربة.

وقتها استغل جان بردي الغزالي الخناقات وأول ما حس ان فيه تفوق للمماليك شوية راح واخد عساكره وزعق بعلو صوته انهزمنا وانسحب بيهم وخاير بك عمل زيه. الغوري قعد يحث العسكر على القتال لكن محدش عبره ولقى نفسه في الهِوا وبينهزم، جاله زي جلطة وتقيأ دم ووقع من فوق حصانه.

وكما قال ابن اياس ان مُلك الغوري زال بلمح البصر لما جثته وقعت تحت سنابك الخيل ومحدش عرف يلاقيها عشان يشيلها.

ابن زنبل الرمال له رواية ان اتنين من الأمراء لقوها وقطعوا الراس عشان محدش من العثمانيين ياخدها ويعلقها على الحربة ويلف بيها الشوارع وتبقى جرسة وفضيحة فدفنوها، وأيا كانت الحقيقة فالراجل اختفى من على وش الدنيا ايذانا باختفاء دولته هيا كمان بعد قليل.

المهم.. الأمراء اللي نجوا من المعركة دي كله طبعا هرب من القتل، فيهم اللي رجع على مصر فورًا واللي استخبى في الشام شوية، واللي اتقبض عليه من رجالة سليم وأعوانهم.

فى الوقت دا كان جان بردي الغزالي في قمة سعادته ورجع ياخد "محمد" ابن السلطان الغوري عشان يرجع بيه مصر، وكان عنده أمل انه يتسلطن بقى بإجماع من الأمراء عشان هو أقدمهم يعني.

رجع الأمراء الهاربون واحد ورا التاني، خيبة الامل والهزيمة على وشوشهم مع وصول أخبار القتلى من الأمراء ورجال الدولة. وقتها كان طومان باي النايب وفى اجتماع بالقلعة.. "جان بردي الغزالي" لقى نفسه طار، لأنه فوجئ ان الأمراء عاوزين يخلوا طومان باى هو السلطان!

طومان اصلا مكنش راضى فعلياً، مش زي عمه خالص، طومان دا حكاية كدا وفلتة من فلتات المماليك[1]

طومان باي وقت الغزو العثماني وحسب المصادر ناس تقول كان ٤٠ سنة، وناس تقول ٤٤.. المهم كان في عز سن الرجولة وأواخر الشباب يعني، وابن اياس بيقول ان عمه قنصوه لقاه مخطوف وبيتباع فاشتراه وهو صغير، وأهداه لقايتباي السلطان وبقى من الكتبة بتوعه، وبعدين اترقى في المناصب لحد ما عمه الغوري بقى سلطان، وبقى طبعا من المقربين له وبيثق فيه.

حسب ما كُتب عن طومان انه كان شخص خلوق ومتدين، واللي ميعرفوش يفتكره من الصالحين ومش أمير مملوكي خالص، وكان عنده نزعة صوفية وبيبتعد عن الفواحش لا زنا ولا حب غلمان ولا حب المال والترف ولا أي حاجة من المعتادة عند المماليك دي. أضف إلى ذلك سيرة حياته وماضيه.

هو يا دوب اتخطف وبيتباع عمه أنقذه من المرمطة وأخده رباه.. يعني طومان لم يعش حياة العبودية والقسوة المعتادة اللي عاشها باقى المماليك، كان عايش بدون احساس بالخطر ولا عنده هلع الحفاظ على وضعه ولا عنده مطامعـ ويمكن دا يفسر اختلاف طبيعته عن الباقيين من بنى جنسه.

خبر موت السلطان رج القاهرة رجا، واجتمع الأمراء العائدون والموجودون بمصر مع طومان باي قاصدين يسلطنوه مكان عمه، طومان رفض في الأول لحد ما أصروا وساقوا عليه الشيخ أبو السعود الجارحي، وكان له مكانة وحظوة عنده، فوافق مرغمًا عشان مكنش ينفع يهرب من الموقف دا.

جان بردي الغزالي زي ما قولنا كان معتبر نفسه أحق الأمراء بيها، فاتغاظ اكتر، لكنه اضمرها في نفسه وعمل نفسه من المؤيدين، لدرجة أن طومان باي هيخليه قائد للجيش، وابن زنبل بيقول ان دي كانت لحظة شؤم:

(وكان ذلك أول عكسهم، لأنه كان ملاحيًا عليهم في الباطن).. "ملاحيًا يعني ضدهم"

وأنباء عن تحركات سليم الأول في الشام دمشق ثم حلب ثم حدود مصر وطومان بيأدب بعض العربان المتمردين اللي استغلوا فرصة اللخبطة دي وعاثوا اجراما،

وفي نفس الوقت الجيش المملوكي بيستعد على حدود القاهرة وطومان بيوعد بمكافأات للى يجيبله راس عثماني، فعند الصالحية يستجدع البدو ويصطادوا جنود من جيش سليم، ويتحرك جيش سليم لمشارف القاهرة، حيث الريدانية اللي هينتظره عندها طومان باي بجيشه، وبناء على نصيحة جان بردي الغزالي هيطمروا المدافع اللي حيلتهم في الرمل، قال ايه عشان سليم ميشوفهاش ونبقى نطلعها فجأة، والحيلة دخلت على السلطان فعلاً، ووقت الجد لا هيلحقوا يطلعوها ولا حاجة!

(أرسل الأمير جان بردي الغزالي إلى السلطان سليم يخبره بتفاصيل خطة المماليك وأنهم أخرجوا مدافعهم الكبيرة وجعلوها في الريدانية، وأنه

نصحهم بدفنها في الرمال حتي لا يعلم أحد من الجواسيس مكانها، ونصح السلطان سليم أن يلتف بجنوده و يأتي من ناحية الجبل من خلف المدافع)

وبدأت المعركة الشهيرة بـ "الريدانية"، ورغم الشجاعة والفروسية اللي أظهرها طومان ومن معه لكن الخيانة كانت أقوى، وزي ما قلنا ملحقوش حتى يستعملوا المدافع بينما نيران العثمانلية انهمرت عليهم.

واللي يقرأ لابن زنبل يشوف بطولات فعلا، لكن انت بتتكلم في جيش صغير كام ألف ومنهزم في معركة سابقة قصاد جيش معدي الـ ١٥٠ ألف حسب بعض الروايات.

يشوف السلطان المنظر بعد مقاومة شرسة، فيدرك الهزيمة المحققة ويلم الراية ويطويها إيذانا بالانسحاب، وياخد بعضه واللي معاه ويهرب من الموت والأسر، وكل أمير بقى على قيد الحياة يهرب هو كمان منعرفش فين، المهم الاختفاء بينما كلنا عارفين طبعا "جان بردي الغزالي" هيروح فين ولمين؟

فى نفس الوقت اللي كان فيه مملوك خاين بيستميت في بيع البلاد للعدو، كان فيه مملوك تاني مخلص للبلد ولبني جنسه وبيدافع عن أرضه وعرضه.

طومان باي ليلة المعركة دي مسكتش وحب يعمل دخول مفاجىء على العثمانلية، وهاجم هو وكام أمير معسكر سليم قرب الفجر واخترق الحرس ودخل أكبر خيمة

وأحد الأمراء قتل من فيها فاكرينه سليم، وطلع اللي انقطعت راسه دا "سنان باشا" وزير سليم اللي اتنكد جدا لما عرف ان طومان اخترق معسكره ودخل وخرج من غير حد ما يمسكه هو وأمرائه، ومسك خاير بك هزقه لأنه جابه وزنقه الزنقة دي وأصر ينتقم من الاهانة دي.

ويدخل الجيش العثماني القاهرة يستبيح أهلها وخيرها، ويحصل مقاومة وقتال في كل مكان وتتكدس الجثث في الشوارع.
ابن اياس بيقول مات في ال٣ أيام الأولى ١٠ آلاف انسان، وطبعا دا كان رقم تقديري بسيط، وفيه ناس بتقول العدد ضعف كدا واكتر!
ويظهر طومان باي من تاني في حى الصليبة، هو وأمرائه وجنده وولاد البلد الجدعان ويعملوا حرب شوارع، وبيقال انهم اصطادوا في الأيام دي الآف من جنود بني عثمان، ودا كدر سليم الأول جدا وأمر جنوده بمهاجمة الصليبة، وحرق مسجد شيخون اللي قيل انه يأوي السلطان وبيدعو الناس للجهاد من على مأذنته!
في هذا التوقيت بيكون جان بردي الغزالي يتبجح بالظهور علنا بعد ما اطمن ان مصر وقعت في إيد سيده الجديد ويتشفع لبعض الأمراء عشان سليم يعفو عنهم ويرحمهم من القتل، ثم يُظهر الكثير من الولاء بتطوعه لقتال بعض العربان في الشرقية تمردوا على العثمانلية
طومان اختفى من الصليبة وهيظهر تاني في البهنسا جنوب الجيزة ويجمع حواليه بعض فلول المماليك والعربان والفلاحين ويهاجم قوارب العثمانيين التي بتعدي النيل، لكن كل الدوشة دي لا تسفر عن شيء سوى مواجهة أخيرة في حتة اسمها "وردان"، حيث ينهزم طومان باي أخيراً ويلاقي انه مفيش أي جدوى من استكمال القتال والغلبة لبني عثمان، فيفترق عن بعض مرافقيه ويقرر يروح عند احد العربان اللي زمان أيام الغوري انقذ رقبته من الموت، ويقرر يستخبى عنده،
وفي "سخا" عند صديقه "حسن بن مرعي" يرتحل مع من معه من أمراء قليلين، يستقبلهم حسن بترحاب وياخدهم لوادي في نقطة حصينة مش

سهل حد يوصلها وبيعتبروها مخبأ كويس، ويستأذنهم يرجع يجيب أكل، وفي الرجوع دماغه تجيبه بتسليم السلطان لنيل المكأفاة. ولما يرجع البيت ابن عمه يبلغه ان جنود عثمانلية جم يسألوا عن السلطان لعلمهم انه هرب النواحي دي، فيقرر يستفيد من الموقف ويروح لعندهم ويسأل عن المكافأة لو سلمهم السلطان الهارب، فيوعدوه بما هو عظيم فياخدهم للوادي الحصين اياه!

صلاح عيسى في "رجال مرج دابق" بيوصف المشهد قائلا ان حسن مرعي وفرهاد العثمانلى:

(دخل على السلطان وفى صحبته جان بردي الغزالي وخاير بك، تبادل الأربعة نظرات صامتة كانت تحمل تاريخًا طويلًا بينهم في ثكنات القلعة وفى حروب العربان وفى احتفالات وفاء النيل ويوم زفوا طومان باي)

وقطع اياس باشا قائد الينكرجية الصمت فتقدم من طومان باي وانحنى له وقال بأدب "الأمر أمر الله تعالى، فقم يا مولانا السلطان واجعل يدك اليمنى فوق اليسرى ولا تؤاخذنا في هذا يا مولانا".

وتقدم الجنود فأوثقوا يديه شأن كل الأعيان من الامام (وليس من الخلف) وأركبوه على بغلة وقيدوه من تحت بطنها

ابن اياس وابن زنبل بيستفيضوا في ذكر الحديث اللي دار بين السلطان المملوكي الأسير وبين سليم الأول، وان إزاي الجبار العثمانلى أُعجب بتأدب طومان وشخصيته وورعه وكاد يطالبه بأن يكون نائبه وانه هيكتفي بالمبلغ اللي هيندفع له كل عام وخلاص، لكن خاير بك وجان بردي الغزالي بقى عندهم رعب حقيقى من اللي هيحصل لو فضل طومان باي على قيد الحياة وسليم يسيب مصر! يعني كل اللي عملوه دا ويفضل هو سلطان؟! لأ طبعا

فأوغروا خاطر السلطان وحرضوه وفهموه ان العوام مش هيصدقوا الهزيمة إلا بمقتل طومان فعلا، فالكلام جه على هواه للأسف، وبيقولوا انه تركه ١٧ يوم بحالهم يفكر ومتردد في طريقة الخلاص منه وافتكر حديثه معاه:

(يا طومان... كم نهيناك عن القتال!

فقال آخر سلاطين المماليك: لم يكن شيء مما جرى بأمري، وأردف وهو يشير إلى الغزالي وخاير بيك: لو كان فيهما خير لكان لنا)

واحنا دلوقتي في ٢٣ أبريل سنة ١٥١٧م ويتصادف انه كان يوم شم النسيم وكانت ريحة الموت مغطية على كل حاجة والخوف من بكرة مسمم الحياة كلها، وكانت سرت شائعات القبض على السلطان والناس مش عاوزة تصدق وتقول بكرة يظهر تاني زي الزيبق في الحكايات. وفجأة علت الأصوات والهرج والمرج، والناس خرجت من البيوت وبصت من الشبابيك عشان تشوف موكب مهيب بيشق القاهرة أتيا من معسكر العثمانلية ويعبر بولاق ويمر من كل الشوارع والحواري والناس تمشي وراه، كان فيه سلطانهم الغالي مقيد وراكب على الحمار وكل ما يعدي على حد يرمي السلام فيردوا وعليك السلام يا مولانا السلطان!

فيه ناس بتقول ان طومان باي لحد ما وصل باب زويلة مكنش فاكر انه هيتشنق ولا حاجة، كان فاكر انه هيتنقل لسجن أو أي مطرح، لكن ابن زنبل بيقول ان السلطان شاف رؤيا قبلها وهو في الحبس عرف منها انه مقتول زي ما شاف رؤيا قبل ما يروح لحسن بن مرعي عرف منها انه هيتقبض عليه!

وعلى باب زويلة، اللي اشتهر بأنه لا يشنق عليه سوى اللصوص والخونة، ينتظر السلطان- الوحيد تقريبا اللي أخلص في الدفاع عن هذا البلد ولم يسرق ولم يخن- المصير ذاته، وطبعا كانت الموتة دي إمعانا في الإهانة

وتخويف لأي حد من مؤيدينه من نفس المصير المهين، وبيقولهم ببساطة دولتكم زالت.

بيقولوا ان المشهد كان الآتي:

طومان باي أدرك انها النهاية، فبكل شجاعة تقدم إلى الحبل لكن سأل الناس أولا (**اقرأوا لي الفاتحة**) وقرأها هو كمان ومسح وشه بكفه وقال لواحد من فرقة التنفيذ بعد الانتهاء من الفاتحة (**أعمل شغلك**)

فربطوا الحبل حوالين رقبته وشنقوه وسط بكاء وعويل الناس اللي أول مرة يبكوا على سلطان كدا

ابن زنبل بيقول:

(**وكان ذلك اليوم على أهل المملكة أشأم الأيام**)

وخلاص استتب الأمر لسليم وبدأ يرتب الأحوال استعدادا لرجوعه لبلاده، وكان فيه طابور من الخونة مستني المكافأة

خاير بك اللي كان منتظر يحكم مصر لما لقى سليم بيعين وزيره يونس باشا نايب خرس تماما خوفا من بطش العثمانلي اللي ملوش عهد ولا أمان، وفي أي فورة غضب يقتل أي حد!

جان بردي الغزالي كمان خرس لأنه لقى سليم بياخد نسائه - نساء جان بردي - ونساء خاير بك رهاين عنده وهيسفرهم اسطنبول، وكرروها كثيرا مع أي حد عشان يضمنوا ولائه وصمته!

اللي مسكتش بقى "حسن بن مرعي".. في جلسة كدا بحضور السلطان فكر وزيره فرهاد انه قاله لك مكافأة، والظاهر كان أسلوبه فيه جلافة وجليطة.. سليم اتغاظ منه جدا وأمر بسجنه وقتله، لكن الامر كان بعد خروج مرعي بلحظات وربنا نجده مؤقتا، وبعدها يتفاجيء بأمر القبض عليه فيقرر ينتقم

منهم، وقعد يعاكس فيهم ويقطع عليهم الطرق في منطقته وما حولها وقبيلته بتساعده، لحد ما سليم اخده بالحيلة وبعت له منديل الأمان اللي دخل بيه القاهرة فاكر انه خلاص كدا الدنيا بقت تمام، وطبعا اول ما دخل قبضوا عليه، ورموه في سجن القلعة وأجلوا الحكم عليه عشان سليم انشغل بالرحيل

وفجأة ظهرت قوائم سفر الى اسطنبول عليها اسماء لشخصيات عامة وناس حتى عادية أُجبرت على السفر معاه، منهم محمد بن السلطان الغوري وكل المتبقى من نسله خوفا أنه يرجع يطالب بالعرش، وكمان كان فيها اسم المتوكل اخر خليفة عباسي، وزودوا أسامي لكل الأعيان والقضاة والموظفين اللي سمع عنهم ولائهم لطومان باي وانهم متمردين وممكن يعملوا قلق لو حسوا بفراغ في السلطة لأي سبب، وطبعا ناس حاولت تهرب من المصير دا فبعتوا فرق تبحث عنهم وحصل هرج ومرج في القاهرة وأحيائها وخراب وفزع، وبيقال ان فيه فرقة عثمانية مخصوص لفت على القصور والبيوت العامرة وخلعت منها ألواح الرخام وحطته في صناديق مخصصة للسفر بيه لبلادهم!

ابن اياس بيقول:

(لهفي على فك الرخام ونقله من كل بيت كان زاه أزهرا

زالت محاسن مصر من أشياء قد كانت بها تزهو على كل القرى)

وسليم عزل يونس وعين مكانه خاير بك نايب، وساب حامية مكونة من ٤ الآف جندي، كل ألف عليهم قائد يقرفوا خاير في عيشته، ليكون فاكر نفسه حاكم بجد ولا حاجة!

وبعد ٨ شهور من العذاب مشي سليم الأول: (**وخرج من القاهرة بألف جمل محملة بالفضة والنحاس والذهب والتحف والنحاس والصيني ومن كل شيء أحسنه، وأمهر البناءين والنجارين والحداداين والحجارين والمبلطين ولاعبي الشطرنج والمغنيين واللاعبين بخيال الظل، وحتى الزهور والرياحين**)

فى التوقيت دا كان حسن بن مرعي في سجن القلعة نجح في الحصول على مبرد وقعد ينشر في شبابيك السجن لحد ما قدر يهرب فعلا!

خاير بك لما عرف اتجنن وخاف من عقاب سيده لما يعرف، وحاول يفاوض ابن مرعي اللي انخدع بالتفاوض فعلا، وفى سهرة عند كاشف الغربية أكل وسكر هو وابن عمه واندبحوا بليل؛ ويتصادف ان كاشف الغربية ده كان عنده جند من مماليك طومان باي وحاربوا جنبه، فأخدوا راس مرعي وابن عمه علقوها على فرس "طومان باي" اللي كان حسن بيركبها تبجحا عادي كدا، وشقت الفرس القاهرة بالروس المتعلقة لحد باب زويلة واتعلقت والجند بيقولوا جملة سيدهم المغدور

(**الله يخون الخاين**)

الكلام دا كان سنة ١٥١٩ م وحسن بن مرعي خلاص قبض تمن خيانته، وخاير بك بقى النايب وسمى نفسه ملك الأمراء

الغزالي بقى كان فين ؟؟

****

سليم كافأه بنيابة الشام، لكن جان اللي فاكر انه خلاص كدا هيرتاح ويغرف من العز والهنا اكتشف ان طلعله خازوق "ناصر الدين بن الحنش" وكان شيخ عرب وله سطوة ونفوذ وقرر يقرفه في عيشته بقى، واللي هو أنا أولى منك بالشام! وقعدوا يحاربوا في بعض مدة، وبعدين استعمل الغزالي الحيلة

العثمانية القديمة، واداله منديل الأمان وبعدين غدر بيه وقتله بمجرد دخوله دمشق.

المهم مش يقعد ساكت بقى ويكفي على خيانته ماجور؟؟ لأ طبعا.. كان سليم الأول مات وابنه سليمان كان طفل وهو السلطان دلوقتي، ودا خلى الغزالي يطمع في انه يستقل بالشام، وفكر يستعين بإسماعيل الصفوي عدو سليم اللدود، وبعت لخاير بك في مصر يقوله نتكاتف عشان نعيد ـمجاد الجراكسة من تاني

خاير بك كان خايف على نفسه أحسن السلطان الجديد ميمدش له النيابة، فخاف وقال مش لاعب.

الغزالي مش هيهتم ويروح يهاجم حلب وياخد الحامية بتاعتها بالحيلة ويسك لنفسه عملة ويتزين له الأسواق ويسمي روحه "الملك الأشرف صاحب الفتوحات جان بردي الغزالي"

الواضح انه كان مهووس بالسلطة ومبيحسبهاش

ابن اياس بيوصف الغزالي: (**وكان الغزالي عنده رهج وخفة زائدة، أهوج الطبع ليس له رأي سديد، رهاج في الأمور ليس له تأمل في العواقب**)..

رهاج يعني مثير للفتنة

بس وبعت الغزالي لخاير بك عشان ضهره يبقى محمي لو مصر معاه. خاير اترعب وراح باعت بالرسايل لاسطنبول وقالهم احاربه انا؟ قالوا له خليك عندك احنا هنتصدى له، وفعلا يبعتوا جيش يحتل حلب ويحاصرها.. الغزالي شوية ويدخل الشتا والتلج ينزل فينسحب، وعلى اطراف دمشق يتقاتل جيشه المنهك

مع جيش العثمانلية وينهزم وينقتل ١٠ آلاف من عسكره، ولما يوقن من الهزيمة يهرب مع خادمه وتابعه "علي باي"

"علي باي" دا كان تابع للغزالى وبيقولوا انه كان معتبره ابنه وبيثق فيه جدا، والولد كان زي ضله واول ما شافوا الهزيمة اتنكد جدا وزي ما تقولوا زعق فيه وقاله انت السبب وكان هيسيبه ويمشي، لولا جان بردي قعد يعاتبه وحب يعمل ناصح ، فقاله هما بيدوروا على فرسان فنغير هدومنا احنا ونلبس دراويش!

وفعلا قلعوا الهدوم بتاعت الحرب ودفنوها عند أطلال سور بيت قديم في المكان، وكانت فرقة عثمانلية بتدور عليهم وشافوها جاية من بعيد، "علي باي" اول ما شافهم جري ناحيتهم وقالهم دا جان بردي الغزالي وعاوز مكافأتي!

راحوا معاه على الشخص اللي بيشاور عليه لقوه واحد لابس لبس فقير غلبان وعمال يقول ح.. هو.. هو... حى ى ى وبيمثل وعايش في الدور ع الآخر!

رئيس الينكجرية اتغاظ جدا وقعد يشتم في "علي باي" وانت بتتمهزأ بينا وجايبنا عند درويش غلبان وانت وانت..

الواد اتفزع وقالهم دا مغير هدومه وتعالوا اوريكم قلع الأصلية وخباها فين! وبعد ما وراهم راحوا محاصرين الغزالي اللي فضل يقول حي.. حي ويسوق الهبل

والموقف اتلخبط قوي و"علي باي" لقى نفسه في زنقة وقرر يجيب م الاخر لما لقاهم متحيرين ومش مصدقين ان دا الغزالي، راح ساحب سيفه وقالهم بصوا رقبتي برقبته.. هقطع راسه وخدونى بالراس لقائد جيشكم وهو

هيتعرف على جان بردي لانه يعرفه من زمان! لو مطلعش هو.. اقتلوني!بسيطة،

ومع اخر حرف من بوقه كان:

(وجذب سيفه وضرب رأسه فأطاحها وأخذها في مخلاته وقال أنا وانتم إلى إياس باشا)

صاحب الفتوحات بقت أخرته رأس مقطوعة وتتحط في مخلة!! وفعلا كان يستاهل والله النهاية المهينة دي

وطبعا لما راح الولد بالراس اتعرف عليها اياس باشا وكافئه وخلاه أمير صنجق وشكرا لحسن تعاونكم معنا

والكلام ده كان سنة ١٥٢١م لما مات التاني جان بردي الغزالي بعد الأول حسن مرعي.. طب والتالت؟؟

☪ ☪ ☪

خاير بك بقى اللي متهناش بالحكم، خمس سنين بيتمهزأ بيه الانكشارية أو الينكرجية اللي سابهم له سليم. الجنود كانوا بلا ضابط ولا رابط ومبيسمعوش الكلام وملوش عليهم حكم، يخطفوا النساء ويطلعوا بيهم القلعة يغتصبوهم، وينهبوا الدكاكين وميقدرش يأمرهم بإرجاع المسروقات، يسكروا ويتجننوا فيقتلوا ويخطفوا الغلمان ويخلعوا أبواب القلعة الخشب يولعوا فيها النار عشان يتدفوا في ليالى الشتا. حاول كتير يهادنهم لكن كانوا بيتمسخروا بيه، فكان بيحط همه في شرب الخمرة ومش بيفوق منها الا نادرا.

مظالمه زادت وطلّع كبته في الغلابة لدرجة ابتداع طريقة في التعذيب اسمها "شك الباذنجان"، والناس اتبهدلت منه كتير ودعت عليه من قلبها لحد ربنا ما استجاب وجاله ٣ أمراض، منهم الشلل، ورقد في السرير وقالوا عنده

حاجة اسمها "فرخ الجمر".. دا زي طاعون كدا، وسقط الجبار وابتدى يفتكر ربنا.

وبيقال انه اعتق كل جواريه وعبيده ومماليكه وتصدق بأموال كتيرة وأطلق سراح المساجين رجال ونساء وطلب من الناس تدعيله، وبيقولوا انه بنى لنفسه مسجد يندفن فيه في طريق القلعة عشان الناس تدعيله، فلما سمع بموت الغزالي قلبه اتقبض وقال لمراته انا خلاص هموت زيه! وفعلا في نفس السنة كان محصله بعد ما قتل زي ما بيقول ابن اياس اكتر من ١٠ الاف نفس في مصر والشام!

بيقولوا ان الناس بعد دفنه بليلة سمعت اصوات مرعبة جاية من قبره، فبقت تخاف تعدي من جنبه لا بالنهار ولا بالليل، ولا عاد حد بيترحم ولا يقرا الفاتحة ولا حاجة...!

وخلصت الحكاية على كده

السفيرة زرافة



الحكاية دي عن كائن حي، لكنه مش عادي، مش عادي عشان في يوم وليلة قرر حاكم مصر في زمن ما يجعله سفير فوق العادة، وعشان كده بردوا اتعمل له كتاب مخصوص يحكى حكايته.

حكايتنا بتقول ان "محمد علي باشا" والي مصر في ليلة من ذات الليالي، وفجأه كده قرر يبعت هدايا لملوك أوروبا عشان يتقرب منهم ويتغاضوا عن توسعاته وطموحاته اللي كانت قالقاهم، وطلعت في دماغه يبعتلهم هدايا غريبة ونادرة ومميزة، وقرر يبتدي بـ"شارل العاشر" ملك فرنسا في ذلك الوقت، والهدية دي كانت "زرافة"، ويقال عشان الزرافة كانت مخلوق نادر مش معروف غير في أفريقيا منشأه وبس، واللي عايز يشوفه كان لازم يجيله مخصوص أو يلقي نظره عليه في الرسومات أو يقرأ أوصافه.

محمد علي بقى طلعت في دماغه يجيب زرافة ويسفرها أوروبا عشان يعملهم حالة انبهار، وده اللي حصل فعلا.. بس الأول أصدر فرمان بإصطياد الزرافة.

لما محمد علي أصدر فرمانه سنة ١٨٢٦م ماكنتش الزرافة اللي عليها العين لسه اتولدت اصلا، والمرسوم باصطيادها راح على الخرطوم لرجالته في شهرين، والرجالة هناك إدوا الأمر للصيادين اللي استنوا على موسم الأمطار ما خلص في الجنوب وابتدوا يدوروا على الزرافة الموعودة، وكان لازم تبقى طفلة.. ليه؟؟؟

عشان يقال ان الزرافة البالغة بتقاوم جامد، ولما بتتأسر بتحزن على روحها وبترفض الأكل وبتموت في الآخر بعد فترة قصيرة، فكان القرار اصطياد طفلة وترويضها على التكيف مع الأسر من صغرها، والصيادين نشنوا على

زرافة حامل أوشكت على الولادة، واستنوا اللحظة المناسبة بعد ما ولدت، ويقال انهم غالبا قتلوا الأم عشان يعرفوا ياخدوا الوليدة.
بالفعل أخدوها وهي ما زالت وليدة من الدار للنار وحطوها على مركب عشان يسافروا بيها على مصر.
وقت اصطيادها كان عندها شهرين، وطبعا رجالة محمد علي كما تروي القصة كانوا بيعاملوها أحسن معاملة وخايفين عليها خوفهم على حياتهم، وكانت شهيتها ضعيفة وبترضع أقل القليل من لبن البقر اللي جايبينوا لها مخصوص، وكانوا مرعوبين لتموت ومحمد علي يطين عيشتهم
كان معاها في الرحلة دي كام بقرة للرضاعة، ومعاها اتنين حراس هنسمع إسمهم تاني كتير وهما "حسن" و "عطير" اللي هيكونوا رعاتها لزمن طويل.
فى الأول نقلوها على الجمال وبعدين لما وصلوا للنيل طلعت الزرافة المركب اللي عليها ١٢ بحار، وكانوا عند كل شلال يقفوا شوية عشان ينزلوها البر تلعب وتاكل من الشجر وتغير جو، وكانوا عاملين لها مظلة في المركب عشان الشمس وكده.
وصلت المركب الخرطوم وهناك نزلوها وقالوا تقعد شوية، وبالفعل قعدت ١٦ شهر لحد ما اشتد عودها، ثم صدر الأمر بالسفر للمحروسة وركبت مركب أكبر من اللي فاتت، ومن نيل السودان لنيل مصر ومن ترعة المحمودية وصلت اسكندرية وقعدت هناك ٣ شهور ضيفة على شرف محمد علي، وبعت محمد علي لفرنسا يقولهم في هدية مني للملك شارل واستعدوا.. وردوا يسألوا باعتلنا ايه؟ قالهم: زرافة!!!!!
أصلا دي وحسبما يقول المؤرخون تبقى أول زرافة تخش فرنسا في تاريخها تخيلوا؟! يعني احنا المصريين اللي عرّفنا الفرنساوية الزراف

طبعا شارل العاشر اتجنن أول لما عرف الحكاية دي وكان عنده فضول رهيب يشوفها، ومصدقش أصلا ان حد يبعت له حيوان طويل كدا، وهيبعته كمان في البحر، وطبعا قِبل الهدية فورا، وبالتنسيق مع القنصل الفرنساوي في اسكندرية خلصت كل الترتيبات وزرافتنا الجميلة هتركب المركب باعتبارها سفير، لان المركب هيعلق العلم المصري والعلم الفرنساوي، وهتسافر الزرافة عليه بعد تجهيزات ومراسم عسكرية واحتفال رسمي.

قائد المركب عمل فتحة للزرافة عشان تمد منها رقبتها العالية، وبطّن الفتحة دي بالقش عشان ماتتعورش لو التقلبات خلت السفينة تتحرك شمال ويمين، وبعدين اتعملّها غطا مناسب عشان يغطوها بيه في حالة البرد خصوصا ليلا، وصدرت التعليمات بالحفاظ عليها في مزاج كويس وأكل كفاية، وحسن وعطير معاها.

وكان مصاحب ليها في الرحلة دي غير حسن وعطير حراسها واللي بيراعوها، وكان في بقرتين عشان اللبن وكمان زوج من الظباء عشان متحسش بأنها غريبة وسط البشر.

المركب اتحركت في شهر ٩ من إسكندرية، وعلى آخر شهر ١٠ كانت في مرسيليا في جنوب فرنسا، وهناك استقبلها العمدة ذات نفسه، وقعدت الزرافة في الحجر الصحي حسب القانون الفرنسي ١٠ أيام وبعدين ابتدوا يحضّروا الطريق عشان سعادتها تنزل على البر وتبدأ رحلة وصولها لباريس.

الأول نزلت البقرات في النهار، وبعدهم في الليل والأنوار مزينة الشوارع خرجت الزرافة لأول مرة تدوس برجلها على الأراضي الفرنسية، لما عمدة مرسيليا شافها لأول مرة انذهل وكتب لوزير الداخلية يقوله في خطاب رسمى انها: (**المصرية الجميلة الأنثى بمعنى الكلمة والكنز الثمين**)

الناس وقفت على الصفين تبص عليها منبهرة.. أول مره يشوفوا زرافة أصلا، وهى كانت لطيفة صحيح بس كانت بتخاف لما حد يلمسها، وكانت مش بتشرب اللبن قصاد العيون الغريبة، وبتكتفي بس بحسن وعطير حراسها

الجو كان مش ولابد في باريس في الأيام دي، قام حاكم مارسيليا استنى شوية لما الدنيا راقت وبعدين قرر يشوف حد يوصلها لحد باريس سالمة، وفجأه لقى في وشه واحد اسمه "بوليتو" بيعرض خدماته في نقلها، بس الحاكم أحس إنه نصاب وقرر يشغّل دماغه وقالهم انا عايز عالِم!!

راحوا مساعدينه شوية ورجعوا جايبين له واحد اسمه "جيوفري سان هيلير" وده كان أصغر عالِم اتعين لنبوغه أستاذ في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي.

هيلير كان عالم وبيفهم وبيعرف في شغلانته كويس، في الأول قعد ٣ أيام يدرس في تاريخ المخلوقة دي عشان يعرف أولها من أخرها، وبعدين أصدر أوامره بالآتي:

أولا: أمر بعمل أحذية للزرافة عشان يمنع حوافرها من التآكل عشان الرحلة لباريس طويلة.

ثانيا: عمل معطف من الصوف لحمايتها من البرد ولبست الزرافة المعطف والأحذية، وابتدت المسيرة لباريس.. وتفتكروا المسافة كام بقى لحد هناك؟

لأ بسيطة خالص ٨٠٠ كيلو بس

وابتدينا الرحلة والزرافة كل ما تمر بمكان الناس تتلم وتقف تتفرج على المخلوق العجيب دا بشغف، ويرسموها في اللوحات للذكرى، ولما تعدي جنب الكنايس يدقوا لها الأجراس تكريما لمرورها

وطبعا سان هيلير وعطير وحسن كانوا بيشوفوا الويل طول الوقت في رعايتها، لأنهم كانوا يمشوا قد ما يمشوا ويبجوا اخر الليل يحتاروا في انهم يلاقوا اسطبل مناسب بعلو مناسب عشان رقبة الزرافة الطويلة واستغلال المزارعين، وعذّبهم كمان فضول الغرباء والكبار بتوع كل بلد اللي بيبقوا عايزيين يتفرجوا عليها ويقطعوا عليها ساعات نومها، وطبعا وكل ده عادي جدا وبتعدي في أي حتة وتاكل من الشجر اللي تلاقيه قصادها، وفى المحطة الأخيرة مدينة ليون اتجمع على الطريق فوق الـ٣٠ ألف شخص عشان يشوفوها وهى معدية، وهى كانت خلاص اتعودت على البشر، وخلاص داخلين على باريس حيث قصر الملك شارل العاشر اللي كان هيموت من الغيظ لسببين: أولهم إنه آخر واحد هيشوفها، ثانيا ان لما الزرافة وصلت باريس كان عايز يروح يشوفها ويستقبلها لكن الملكة مراته منعته وحجتها إن دي هدية من والي صغير مرتبته وضيعة بالنسبالك والهدية تجيلك مش انت اللي تروحلها.

وبعت شارل لسان هيلير يقوله هات الزرافة القصر عشان اشوفها، وبالفعل هيلير هياخد له الزرافة ويشوفها الملك قدامه وهى بتجري في حديقة القصر، وبعدها صدرت الأوامر بنقل الزرافة لجنينة حيوانات باريس، وهناك بقى الملك شارل كل يوم كان بيروح لها ويتفرج عليها ويتمتع بالنظر لها، وانشغل بيها لدرجة ان خصومه السياسيين بقوا يتريقوا عليه ويطالبوه يخلي باله من شعبه شوية كدا قد ما بياخد باله من زرافته، ومش كدا وبس ده ظهر مثل فرنسي عامي شائع وقتها بالمناسبة دي بيقول .. (إنه يمشط الزرافة) وبقى يستخدم للتعبير عن إهمال الشخص لشغله وانهماكه في تفاهات.

بس على فكرة مش الملك بس اللي انبهر بالزرافة، ده باقي الشعب الفرنسي كمان وبقت موضة وصرعة استمرت لسنوات، والزرافة المصرية بلونها ووداعتها بقت أيقونة.

يعني يقال ان أول سنة قعدت فيها في حديقة حيوان باريس زار الزرافة حوالي ٦٠٠ ألف زائر من كافة أنحاء فرنسا بكل الطبقات، والستات لبست فساتين بلون جلدها وحطت رسمتها على المراوح، والرجالة عملت كرافتات بلون الزرافة ونقشة جلدها واتحطت رسمتها على الأطباق والأثاث والكتب وأسماء الشوارع والأغاني، وبقى فيه حلوى الزرافة والاطفال اتهبلت على شرائها طول الوقت.

المهم الزرافة بقت موضة قعدت كتير، والزرافة بتاعتنا نفسها عاشت في فرنسا معززة مكرمة ١٨ سنة بعد الحكاية دي، وطبعا فضلت عذراء لأنهم كانوا هيجيبولها ذكر منين؟!

وبعد موتها احتفظوا بيها واتحطت في متحف الطبيعيات الفرنسي في باريس، أما حراسها، حسن متحملش الغربة ورجع مصر سنة ١٨٢٧، أما عطير فقعد هناك لحد سنة ١٨٣٨ يعنى طوّل معاها شوية، أما الزرافة نفسها فعاشت ١٨ سنة بعدها ودا هايل جدا.. ليه ؟؟ عشان متوسط عمر الزرافة ٢٥ سنة لما تبقى مبسوطة وعايشة في بيئتها الأصلية، وكون ان الزرافة دي وصلت لسن العشرين في بلد غريبة وبيئة غريبة عليها، فدا معناه انها اتعاملت كويس جدا.

د. أيمن الجندي بقى في عرضه للقصة أشار لنقطة مهمة في منتهى الذكاء، ألا وهي ان "محمد علي" لما بعت الزرافة هدية لملك فرنسا كان عايز يكسب وده، لكن الحقيقة بعد وصول الهدية الى باريس بشوية صغيرة ملك فرنسا

ضرب محمد علي ضربة جامدة اوجعته لما وقّع مع باقي ملوك أوروبا اتفاقية كانت أول مسمار في نعش محمد علي

ومحمد علي اللي بعت الزرافة لملك فرنسا وزيها لملك انجلترا وواحده تالتة لامبراطور النمسا كلهم في الآخر باعوه، عشان مش بالهدايا تشترى بيها حد لأن وقت المصالح الكل هيتصالح ضدك مهما كانت قيمة هديتك يا باشا.

☪ ☪ ☪

النبراوي نابغة عصره



الحكاية هتبدأ من "نبروه" اللي كانت أيام محمد علي تتبع محافظة الغربية مش تبع محافظة الدقهلية كما هو حاليا

عن فلاح غلبان عنده كام قيراط بيزرع فيهم ويربي ولاده بالعافية، وكان منهم ولد اسمه إبراهيم، أبوه توسم فيه خير راح بعته الكُتاب يتعلم ويحفظ القرآن، بس مكملش بعد كدا وخده يساعده ف الفلاحة

إبراهيم يكبر شوية ويزرع ويقلع مع ابوه، وفي يوم الأب لم محصول البطيخ وقرر يبيعه، لكن إبراهيم حب يريح أبوه وياخد البطيخ ويبيعه هو ولكن مش في طنطا، في المحروسة نفسها.

وفعلا... لم إبراهيم البطيخ وعلى القاهرة وهو كله حماسة، ونزل السوق اللي بالقرب من باب زويلة، ووقف يسوّق في البضاعة، لكن للأسف لقى القاهريين عازفين عن الشرا، ومحدش عاوز ياخد منه بالسعر اللي طلبه.. قال استنى شوية

طبعا استنى شوية دي هتقولنا ان طبع إبراهيم كان العناد والإصرار، لكن الكلام دا مينفعش مع البطيخ لأن البضاعة قعدت كام يوم في الحر وإبراهيم قاعد جنبها مُصّر البضاعة متتبعش إلا بالسعر اللي في دماغه لحد ما باظت وفسدت وريحتها طلعت!

وبس إبراهيم بقى منظره وحش جدا قصاد نفسه، ومعرفش يرجع بلده إزاي وهو ايد ورا وايد قدام، قام استخار ربنا وخد القرار انه ميرجعش، وراح بايع آخر كام بطيخة مباظتش مع العربية وإدى للجمّال اللي كان مسافر معاه الفلوس اللي باع بيها وطلب منه يسلمها لأبوه ويقوله يسامحه ويقوله كمان ميزعلش، وانه مش هيرجع نبروه تاني الا وهو عامل اللي يرفعلك راسك يا حاج.

إبراهيم فعليا مكنش عنده أي خطة في دماغه، ولا عارف بكرة هيكون فيه ايه وكل اللي عمله وقتها انه هام على وشه في أرض الله لخلق الله في شوارع المحروسة، وتخيلوا الموقف.. الشاب مفلس معهوش ولا مليم، مبيشتغلش أي حاجة ومعندوش مكان يبات فيه، وماشي في الملكوت كدا بلا هدف واضح، وماشي في الشوارع اللي عند باب زويلة والقاهرة الفاطمية، وفجأة يشوف منظر يشده ويخليه يتسمر مكانه لثواني ويجيله حالة كدا عجيبة!

المنظر كان كالآتي

شيخ جليل عليه مهابة وخشوع، ماشي في تأني وثقة ووراه كام فتى وشاب ماسكين كتب وبيتبعوه بمنتهى الأدب والمحبة، والمشهد عجب إبراهيم وأفتكر أيام الكُتاب وشيخه اللي حفظه القرآن، قام ماشي وراهم ومتتبع خطاهم لحد ما دخلوا صحن جامع كبير ومهيب وقف إبراهيم على بابه متعجب!

بياع سبح قاعد على رصيف سأله: مالك يا بني واقف ليه كدا؟ فإبراهيم سأله الجامع دا اسمه ايه؟ والشيخ دخل هناك ليه... الخ، فالراجل جاوبه وعرف إبراهيم انه في حضرة الأزهر جامعة مصر وجامعها، اللي من كام سنة بسيطة كان معقل الدفاع عن البلاد ضد الفرنساوية، فخلع إبراهيم نعله ودخل، وبعد ما دخل بص على الشيخ اللي كان لافت نظره بموكبه لاقاه قاعد عند عامود وحواليه الولاد، راح مقرب شوية، الشيخ لمحه فشاور له فيها معناه أقعد، راح إبراهيم قاعد.

إبراهيم بعد اللحظة دي هتتغير حياته تماما، وهيتحول من فلاح وبياع بطيخ خيبان لنابغة في زمنه قلما تتكرر!!

إبراهيم هينتظم في الدروس في جامع الأزهر، وانتوا عارفين الأزهر وقتها كان حاجة عظمة، يعني كان الطالب له مكان ينام فيه وأكل ومصروف شهري، كانت جامعة فعلية وفيها أروقة لكل الناس اللي جاية من كل البلاد..

قام إبراهيم بتزكية من شيوخه اللي لمحوا فيه النباهة قبلوا دخوله وأصبح أزهريا رسميا، وقعدنا على الحال دا شوية وإبراهيم بيغرف من بحر العلم.

نسينا نقول أهم حاجة، ان الأحداث دي حصلت في زمن "محمد علي" وأكيد عارفين ان الراجل كان بيبني البلد من الصفر، بس كل حاجة بدأت عشان خدمة جيشه في المقام الأول، ومن هنا بدأ افتتاح المدارس المختلفة ورجالة محمد علي اللي تولوا مسئولية انشاء المدارس دي بقوا يلفوا في كل مكان زي كشافين الكورة كدا عشان يلموا الطلبة والشباب اللي ييجي منهم، وطبعا من ضمن الأماكن ان لم يكن أولها هو الأزهر اللي رجالة محمد علي راحوا له وطلبوا من شيوخه يرشحولهم اسماء ويجيبولهم المتفوقين فورا وفى يوم معلوم النصيب شاورعليه، إبراهيم قاعد في درس من الدروس كالعادة لقى هرج ومرج و كام نفر داخلين الجامع، منهم اللي لابس لبس ميري وكدا، لحد ما لقى شيخ من شيوخه بينادي عليه ويقوله تعالى يا إبراهيم الناس دي عاوزينك يا بني!

وببساطة وبلا رغي كتير، نقدر نفهم ان إبراهيم وقع عليه الاختيار ضمن شباب أزهريين آخرين عشان يبقى من ضمن الناس اللي هيلتحقوا بالمدارس المنشأة، بس يا ترى هيودوه فين؟ مدرسة الطب.. ولا المهندسخانة ولا أنهي نوع من الدارسة هيكون مكتوب له؟

الحقيقة ان الناس المسئولة عن المدارس دي كان طبعا معظمهم اجانب وعملوا الحكاية صح، اختبروا كل العيال الأول وبعدين وزعوهم حسب الامكانيات، ودا هيقودنا لحاجة غريبة جدا وانا مستغربها الصراحة، لأن بعد اجتياز إبراهيم للأختبار الأول، المدرسين ودوه مدرسة الطب.. إزاي متفهموش!

يعنى الولد كان بيدرس فقه وشريعة وحاجات كلها لغة ودين وما شابه، ولا يعرف أحياء ولا كيميا ولا أي حاجة ليها علاقة بالطب والمرض بالمرة!

بس محمد علي كان زي ما قولنا بيبدأ مش بس من الصفر، دا من تحت الصفر، ويمكن دا اللي نجح كل حاجة وقتها، وما احوجنا لنفس النمط دلوقتي

المهم.. المسئول عن مدرسة الطب كان راجل مصدر ثقة لمحمد علي، وكلنا طبعا عارفين اسمه هو "كلوت بك" اللي له قصة لطيفة جدا وتشبه شوية حكاية إبراهيم

كلوت كان بيدرس وهو صغير وكان من اسرة فقيرة جدا، فاشتغل صبي حلاق لفترة عشان يصرف على نفسه، ودرس وكمل واشتغل في الطب لحد ما اتعرف في المهنة والمجال، ولما محمد علي دوّر على طبيب مؤتمن للجيش بتاعه، أحد الاصدقاء الفرنساوية رشح كلوت، فمحمد علي استعمله وعينه كبير أطباء الجيش المصري

وكلوت اللي خد البكوية انطلق وعرض على محمد علي يعمل مستشفى للجنود، والمعروفة لنا منذ هذا العهد بمستشفى قصر العيني، وكلوت بك برضو كان المسئول عن مدرسة الطب الملحقة بهذه المستشفى، وتم اختيار شوية طلبة عشان يكونوا نواة المدرسة دي، وأول دفعتها كان إبراهيم اللي

كان من نوابغ الأزهر، إبراهيم لما دخل مدرسة الطب اتفاجىء مش بس بعلوم زي الكيميا والطبيعة والتشريح وعلم الأدوية وخلافه، لأ دا اتفاجىء اكتر ان العلوم دي باللغة الفرنسية التي لا يفقه فيها أي حاجة، مكنش فيه كتب بالعربي وقتها وكان الموجود بالعربي كله تراث قديم لا يواكب الزمن، زائد ان الدكاترة كلهم تقريبا من فرنسا وغيرها، ولا واحد بيحكي عربي، والطلبه كانوا قاعدين قصادهم مبلمين

بس لكم ان تتخيلوا.. ان إبراهيم وزملائه كانوا اجدع من انهم ميعرفوش يستفيدوا، وعدت عليهم الأيام بصعوبة، بس كملوا سنين الدراسة الأولية بنجاح وبقى فاضل الدراسة التكميلية، ولازم يسافروا برا- فرنسا تحديدا- عشان يتمموا الدراسة لحد نهايتها، ولنا هنا وقفة...

محمد علي بعت في التخصصات الآتية:

في الإدارة والحقوق والفنون الحربية والعلوم السياسية والملاحة والهندسة الحربية والمدفعية والطب والجراحة

فى كل تخصص من دول بعت بعثة، وإبراهيم النبرواى كان ضمن البعثة الخامسة اللي سافرت سنة ١٨٣٢ إلى فرنسا بلد النور والجمال.

إبراهيم لما وصل فرنسا حصله طبعا صدمة حضارية، بس جت والحمد لله بالعكس، يعني بدل ما يهلس وأخلاقه تبوظ عرف بنت فرنساوية وحبها واتجوزها، وصحيح طلاب البعثة كانوا تحت الإشراف وتحت نظر رجالة محمد علي، إلا ان إبراهيم كان نموذج للإنضباط وكان مجتهد في دراسته والجواز مشغلوش عن المهمة، وزي ما بيقول جمال بدوي بالعكس دا الست مراته كتر خيرها ساعدته بشكل غير مباشر انه يتعلم فرنساوي بسرعة ويقدر يستوعب الكتب المنشورة هناك!

وهما أربع سنين، وعلى ١٨٣٦ كان إبراهيم النبراوي راجع مصر في ايده شهادة، وفى الأيد التانية مراته وواقف.. يلا يا دكتور عشان تقسم اليمين

" أقسم بالله العظيم ونبيه الكريم محمد صلي الله عليه وسلم على أن أكون أميناً حريصاً علي شروط الشرف والبر والصلاح في تعاطي صناعة الطب، وأن أسعف الفقراء مجاناً ولا أطلب أجرة تزيد علي أجرة عملي، وإني إذا دخلت بيتاً فلا تنظر عيناي ماذا يحصل فيه ولا ينطق لساني بالأسرار التي يأتمنوني عليها، ولا أستعمل صناعتي في إفساد الخصال الحميدة، ولا أعاون بها علي الذنوب ولا أعطي سُما البتة ولا أدل عليه ولا أشير به، ولا أعطي دواء فيه ضرر على الحوامل ولا إسقاط لهن، وأكون موقراً وحافظاً للمعروف مع الذين علموني، مكافئا لأولادهم بتعليمي إياهم ما تعلمته من آبائهم، فما دمت حريصا علي عهدي وأمينا على يميني فجميع الناس يعتبرونني ويوقرونني، وإن خالفت ذلك فأكون بمرذل المحتقر، والله شهيد على ما أقوله "

بس، وحلف إبراهيم النبراوي اليمين أو عهد الأطباء، كما كان اسمه وقتها واتعين مدرس بمدرسة الطب المصرية زائد العمل كطبيب، واظهر نبوغ في الجانب العملي زي النظري تمام، وصيته وصل لمحمد علي شخصيا اللي خلاه طبيبه الخصوصي كما ذكر علي مبارك في خططه
علي مبارك كان برضو زي حالاته بس في تخصص تاني وسافر ضمن آخر بعثة راحت فرنسا واشتهرت ببعثة الأنجال لأن أولاد محمد علي كانوا فيها.
علي مبارك قال عن إبراهيم النبراوي بالحرف في الخطط التوفيقية:

"انه أنجب من اشتهر في الجراحة وانه ذو إقدام على ما لم يقدم عليه غيره، وانه يجرى العمليات المنتجة للصحة ولم يسبقه في ذلك غيره"

وبعد ما محمد علي مات، حكم عباس حلمي الأول، وفضل إبراهيم النبراوي طبيب الأسرة برضو رغم ان عباس دا كان بيشك في نفسه، والست الوالدة ام عباس لما راحت تحج خدته معاها عشان يشرف على صحتها وعلى صحة اللي معاها من الحجيج وقتها، ومش بس كدا.. مرات إبراهيم النبراوي الفرنساوية اتوفت فالست ام عباس صعب عليها قعدته وحيد كدا وكانت بتعزه وشايفاه حزين عليها جدا، فانتظرت شوية وراحت مهادياه بواحدة من جواريها المخلصات وكان اسمها "اشراقة" وربت معاه أولاده من زوجته الفرنساوية.. يوسف وخليل

واللطيف ان إبراهيم مكتفاش بالتركيز في الجانب المهني وفقط، لأ دا ترجم لأستاذه كلوت بك عدد ٣ كتب من الفرنسية إلى العربية، وبعدين لما كلوت بك استقال اتعين إبراهيم النبراوي وكيل لمدرسة الطب، ودا كان منصب جنب مناصب كثير كان يصعب وصول المصريين اليها، بس إبراهيم وصل. ويلاقي إبراهيم النبراوي ربه سنة ١٨٦٢ بعد سيرة تستحق الاحترام كله الصراحة.

ثكنات التحرير



الحكاية دي عن مكان مش كتير يعرفوه ولا يعرفوا انه كان هنا أصلا، والحكاية عن "ثكنات قصر النيل" واللي مكانها كان في ميدان التحرير.. جزء باصص على المتحف والميدان وجزء باصص على النيل وفى قلب القاهرة الخديوية.

والقصة هاتبدأ من زمان جدا لما الحتة بتاعة ميدان التحرير دي كانت مجرد أرض مليانة برك ومستنقعات، وييجي الفيضان يغمرها ثم ينحسر عنها وتملاها البرك ثم الناموس وخلافه، وتجيب أمراض وأوبئة، فالناس تبعد عنها.

أيام المماليك أحد الأمراء قرر يعمّرها، وعمل لنفسه بيت كبير وألحقه بإسطبل للأحصنة، واشتهرت الحتة دي "بزريبة قوصون" على اسم الأمير المملوكي.

ويمر الزمن والمماليك ينتهي عهدهم ويجى بعدهم العثمانيين، والعثمانيين تركوا الحكم الفعلي للمماليك البكوات واللي أهملوا أي عمران.. فالحتة دي رجعت تاني زي الأول مهجورة وأصبحت مكان للأوبئة واللصوص وخلافه، لغاية ماجت الحملة الفرنسية.

بونابرت استغل وجود المنطقة دي بعيدا عن القاهرة الفاطمية وقال نعمل فيها معسكر للجنود، والاحتلال الفرنسي قعد ٣ سنين ورجعت الأرض تاني لحالتها من إهمال ومحدش فكر يسكن فيها بسبب الأمراض.

ودخلت البلاد في حالة حراك بعد رجوع الوالي الموفد من الباب العالى، وبين الشعب والأمراء الموجودين على رأسهم "الألفي" و "البرديسي" وطبعا "محمد علي"، وبعد سنوات قليلة من الصراع والمكر والدهاء وقعت مصر تحت حكم "محمد علي".

محمد علي في وسط انشغاله بالحروب الخارجية وقمع الثورات الداخلية والمداهنة للباب العالي، هيتجه لتعمير القاهرة، ولما يبني لنفسه أو ولولاده هيختار أماكن بعيدة عن الزحمة والدوشة، خصوصا إنه تعرض لمحاولة اغتيال في مرة في الأزبكية. قعد هو في القلعة وبنى سرايات لولاده في كذا مكان، ومنهم سرايا لبنته "نازلي" في الحتة دي بتبص على النيل على طول، واتبنت فعلا وسموها "قصر النيل" ومن هنا جت التسمية، وكمان إسم الشارع الشهير بوسط البلد، وجت تسمية الكوبري بعدين.

المهم.. نازلي قعدت في القصر اللي بناه والدها لغاية لما مات ومسك بعد كده حفيده "عباس حلمي الأول"، وكان في مشاكل بين نازلى وبين ابن أخوها عباس واضطرت تهجر مصر إلى تركيا، ومن هناك دبرت لقتله ونجحت المحاولة، واتقتل عباس حلمي الأول في قصره في بنها، وابنه إلهامي باشا مسكتش ويقال إنه مسك اتنين من اللي شاركوا في الجريمة وقتلهم، لكن نازلي طبعا كانت في تركيا في حماية الباب العالي ومعرفش ينتقم منها.

المهم.. وسط القصة دي راحت ولاية مصر إلى أكبر أعضاء الأسرة سناً حسب الأصول، ومسك "سعيد باشا" ابن محمد علي الحكم.

سعيد باشا بقى كان حدوتة تانية غير عباس، كان بتاع بحرية، ومن صغره وأبوه بيحاول يعلمه مهام الدولة، فكانت اهتماماته منصبه على ذلك، وحاول يصلّح اللي عباس حلمي بوظه. يعني إهتم بالجيش جدا، وحاول يزود عدده قدر الممكن، وكمان اهتم بالإصلاحات وحماية الثغور، واهتم بالنيل باعتباره منفذ على القاهرة وسكانها.

وفى إطار خطته هيشتري سعيد القصر من عمته نازلي اللي مرجعتش تاني من تركيا وقعدت هناك، ويأمر سعيد ينة ١٨٥٦ بإنشاء رصيف على قصر النيل، ويرسل لمهندس إسمه "موجيل بك" ويكلفه بهذه المهمة.
ثم السنة اللي بعدها يعني ١٨٥٧ هيأمر بهدم جزء من قصر النيل وتكملة البناء عشان يعملوا "قشلاق" يتسع لـ ٦ ألاف جندي.. و"قشلاق" يعنى ثكنة للجند بالتركي، وكمان هيأمر بمد خط سكة حديد مخصوص للثكنات عشان يسهل الحركة ونقل الأسلحة والجنود وخلافه.. ونركز في الآتي:
الثكنات تصميمها هيبدأ من اتجاه منطقة بولاق أبو العلا بقصر سعيد باشا، اللي كان قصر نازلي، ثم يكتمل شكله بالمربعين ناقصين ضلع اتجاه النيل لحد ما يبقى ناحية شارع قصر العيني، وطبعا مكنش لسه كوبري قصر النيل اتبنى أصلا، والثكنات دي كانت مبنية على طراز فنى رائع.
المهم.. ثكنات قصر النيل أصبحت منذ هذا التاريخ- من عهد سعيد يعني- هي المقر الرسمي للجيش المصري
ويدور الزمن ويبقى "إسماعيل" هو الوالي ثم الخديوي، وهيكلف مهندسه المفضل "علي مبارك" بالتخطيط للقاهرة الخديوية اللي هاتبدأ من الأزبكية ولحد الثكنات، وما بينهم من أرض تتحول لطرق وعمارات، وتتمهد طرق متعامدة على الثكنات لحد قصر عابدين والعتبة، زي شوارع قصر النيل والبستان وغيرهم.
وإسماعيل هيبني لإحدى زوجاته قصر هناك، ويتسمى المكان كله "ميدان الإسماعيلية"، واللي بعدين هيتحول لميدان التحرير، ومش بس كده.. ده هايأمر بنقل المدرسة الحربية من القناطر الخيرية لثكنات قصر النيل عشان يعمل رجل على المكان والناس تروح وتيجي عليها، وبعد ما يبدأ يعمر

جزيرة الزمالك ويبني فيها قصر لحبيبته "الإمبراطورة أوجيني" هيعمل كوبري قصر النيل للربط بين قاهرته والزمالك.

وبعد حكاية الكوبري هيبقى موقع الثكنات استراتيجي بيربط بين كذا جهة، وقريب لقصر عابدين، ودي كانت مشكلة...

لأن بعد كده بيحدث في تاريخ مصر تغيرات كبيرة في عهد "الخديوي توفيق"، وكان وقتها الثكنات هي مقر الجيش المصري ووزارة الجهادية والمدرسة الحربية، ودي كانت حاجة حلوة "لعرابي"، اللي هيظهر في الأفق ملوحًا بمطالب الضباط زمايله في الجيش وشكواهم من ناظر الجهادية وقتها "عثمان رفقي".

"عثمان رفقي"، الجركسي الأصل، كان متحيز لبني جنسه جراكسة وأتراك والترقيات لهم فقط، وكان في غضب مكبوت في الجيش لحد ما طلع قرار فيما معناه ونتيجته إنه محدش هايترقى أبدا غير الأتراك والجراكسة فقط، فمجموعة ضباط طلعوا على بيت عرابي يشتكوا له

عرابي واتنين من زملائه، باعتبارهم أكبر المصريين رتبا في الجيش، (اترقوا في عهد سعيد) كتبوا عريضة لرئيس النظار- اللي هو رئيس الوزرا يعني- وحددوا مطالبهم بعزل ناظر الجهادية الحالي، ورفع عدد الجيش لأكتر مما هو عليه، وترقية الضباط بدون تمييز، ومضى أمراء الآلايات الثلاثة وأولهم عرابي، ورفعوا العريضة لرئيس النظار اللي قالهم ان ده تطاول، وبعد عرضها على الخديوي توفيق حصل ما يعرف بـ "حادث قصر النيل"، واللي حصل إن في نفس اليوم اللي قدموا فيه العريضة، جالهم دعوى لحضور حفل زفاف أخت الخديوي توفيق، واللي بعت الدعوة كان ناظر الجهادية شخصيا اللي هما متقدمين بعزله..

فعرابي ورفاقه توجسوا خيفة، وقرروا يروحوا الفرح لكن باحتياطات.. في مذكرات عرابي بيقول نصا:

(أدركنا أن في الأمر خدعة، وأخذنا حذرنا ثم ذهبنا إلى الوقت المعين لديوان الجهادية بقصر النيل، انعقد لنا مجلس من الباشوات وألقي علينا أمر الخديوي بإيقافنا ومحاكمتنا ونزع سيوفنا، وساقونا إلى السجن في قاعة بقصر النيل)

وطبعا الاحتياطات هتظهر لما يوصل الخبر إن عرابي ورفاقه اتقبض عليهم، وزميل رابع هيروح مع أورطتين من حرس الخديوي شخصيا عشان يشوف زمايله مرجعوش ليه، ويحاصروا الثكنات ثم يقتحموها ويخرجوا عرابي وزمايله، وناظر الجهادية ورجال المجلس هربوا على قصر عابدين، والحركة دي كانت أول خطوة في الثورة العرابية

حادث قصر النيل عرّف العنصر المصري في الجيش ان له قيمة وقدرة على الحشد والتكاتف، وبعدها حصلت وقفة عرابي قصاد توفيق عند قصر عابدين وماحدث بعدها، لحد ما استغل المحتل الصراعات وموالاة الخديوي لهم، ودخل الانجليز مصر وبعد ما تأكدوا من هزيمة عرابي في التل الكبير دخلوا القاهرة واحتلوا ثكنات قصر النيل كنوع من الرمزية.

الثكنات منذ سنة ١٨٨٢ هتعيش أيام تانية خالص، خصوصا بعد ما توفيق رضخ للإنجليز وحل الجيش المصري بعد ٥ أيام من دخولهم، والمكان هيتحول إلى قبلة للغضب، والانجليز كانوا بيكيدوا الشعب وكانوا بيخرجوا في المكان الواسع قصاد الثكنات يلعبوا رياضة، وطبعا ده كان بيستفز الناس

ويموت توفيق وييجي بعده ابنه "عباس حلمي التاني"، وعباس كان كاره للانجليز وعنده نعرة وطنية، وكان لامم حواليه نخبة المثقفين ومن التوجهات السياسية المناهضة للاحتلال، وكان بيعافر ويناطح في الانجليز قدر استطاعته في الأول والبدايات يعني. وقتها اتحول الاسم الى "الثكنات الانجليزية"، والمندوب السامي البريطاني كان مقره في ميدان "سيمون بوليفار" حاليا.

سنة ١٩٠٤ خرج اقتراح من أحد رموز عيلة "قطاوي" اليهودية الشهيرة بأننا نهد الثكنات دي ونخلي ميدان الإسماعيلية بلا عسكر

"موسى قطاوي" كان صاحب الفكرة، وقال نزود الاعمارات والتماثيل إلخ.. وطبعا الفكرة اترفضت من جانب الإنجليز، لأنهم مش عايزين يسيبوا الموقع الاستراتيجي ده.

ويتعزل عباس حلمي التاني وييجي مكانه "حسين كامل" اللي ياخد لقب "سلطان مصر"، واللي يدوب يقعد ٣ سنين ويموت، وابنه يرفض العرش فتسقط مصر تحت حكم "أحمد فؤاد"

بدأت تظهر أفكار لعرض قضية مصر عالميا للحصول على حريتها واستقلالها، وكانت الحرب العالمية الأولى لسه خلصانة، وفيه روح جديدة ووشوش جديدة تبشر بالخير.. ف"سعد زغلول" ولفيف من الأساتذة زملائه يعني قرروا - بعد اقتراح وتأييد من الأمير "عمر طوسون"، هذا الوطني الجدع- أن يسافروا إلى باريس في وفد ويعرضوا قضيتنا لعل وعسى.

الإنجليز لم يسكتوا، وهياخدوا إجراء كتبه "إسماعيل صدقي" (اللي هينقلب على الثورة بعدين) في مذكراته عن هذا الحدث قال نصا:

(يوم ٨ مارس – اليوم السابق على الثورة – كت أجلس في مكتبي في غرفة مجاورة لمكتب سعد زغلول بمنزله، فجاءني خادم ينبئني بحضور ضابط انجليزي، وكان الضابط قد طلب من سعد باشا أن يركب عربة عسكرية، ثم دعاني إلى ركوب عربة أخرى وذهب بنا إلى ثكنة قصر النيل)

جاء كذا ضابط وخدوا الأتيي أسمائهم:

سعد زغلول باشا

محمد محمود باشا

حمد الباسل باشا

إسماعيل صدقي باشا

وحجزوهم ليلة في الثكنات، وتاني يوم كانوا مرحلينهم على مالطا، وطبعا الست "صفية زغلول" مسكتتش وهدت الدنيا، وفورا الخبر انتشر والدنيا قامت ومقعدتش وبيانات واضرابات، عمال السكة الحديد أضربوا وانقطعت الطرق وخطوط التليفون، ونزلت مظاهرات للشوارع عمال وموظفين رجالة وستات وسعد زعيمنا، والناس جريوا في الشوارع يلفوا ع المحلات والبيوت يعملوله توكيلات إنه يتكلم بالنيابة عنهم.

قامت ثورة ١٩١٩، ورضخ الانجليز للضغط، ورجع سعد واللي معاه وخطوة جديدة بعد خطوة عرابي، وفضلت الثكنات في مرمى النيران الغاضبة، وقعدنا كده لحد ما خلصت الحرب العالمية التانية، وتاني المصريين يقولوا الانجليز يمشوا، وكان فؤاد مات سنة ١٩٣٦.

ويجي مكانه ابنه الملك فاروق اللي على مدار ١٠ سنين كانوا شوية يهتفوا له وشوية يهتفوا ضده، واحنا دلوقتي في اوائل فبراير ١٩٤٦ لما طلبة في أعداد غفيرة هتخرج من جامعة "فؤاد الأول" (القاهرة حاليا) في اتجاه قصر

عابدين عشان يطالبوا الملك بتفعيل اتفاقية جلاء الانجليز عن القاهرة ورحيلهم لمدن القناه زي الاتفاق، وفى الطريق عند كوبري عباس يحصل هرج ومرج وقصص كده، والكوبري ينفتح ع الطلبة، ويقال ان محدش مات كما هو شائع وفي طلبة رمت نفسها في النيل، بس محدش مات إلا في أحداث في طنطا

واجتمعت القوى الوطنية وقررت اعلان يوم ٢١ فبراير يوم اضراب في عموم مصر وخروج تظاهرات تطوف في شوارع المدن للتنديد بما حدث، والداخلية هتاخد أوامر بعدم التعرض للمظاهرات منعا للمشاكل.

لكن المشكلة كانت في الانجليز، عشان لما مظاهرة القاهرة قربت من الثكنات ساعتها عربيات الجيش الانجليزي من الهلع دهست المتظاهرين اللي يبدو كان عددهم وروحهم حاجة كبيرة لدرجة ترعب، ويومها دهسوا ٢٣ شهيد غير الجرحى اللي عددهم عدوا الـ ١٠٠

المؤرخون بيقولوا إنه بجانب أفول الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، الحادث ده وغيره دفع القوات الانجليزية للتراجع والجلاء عن القاهرة عشان خلاص بقوا في خطر داهم.

بعد سنة وشهر، يعني في مارس ١٩٤٧، هيكون فاروق واقف ببدلته العسكرية بيرفع العلم المصري على ثكنات قصر النيل، إيذانا بجلاء الانجليز عنها، وترجع الثكنات مصرية خالصة، ويرجع فرق من الجيش المصري للتواجد فيها.

وتدخل مصر حرب ١٩٤٨، والبلد تغلي، وكذلك الجيش وتحديدا بعض ضباطه فيما هيعرف بعدين "بالضباط الأحرار". فاروق شعبيته تنزل للحضيض، وتنحرق القاهرة، وبعدها بشهور قليلة تقوم حركة الجيش

وتخلع فاروق من عرشه، وتشهد الثكنات على الأحداث كلها وعلى زمن جديد بشخوصه وأحداثه، وتفضل الثكنات في مكانها، لكن التركيز للجيش هيكون في العباسية اكتر، وتظهر روح التغيير اللي ينفذها "عبد اللطيف البغدادي"، عضو مجلس قيادة الثورة، وهيبقى بعدين وزير الشؤون البلدية والقروية، وبعدين يبقى نائب لرئيس الجمهورية.

والراجل بناء على خطة، هيحط تصور لتغيير بعض الشوارع وتوسعتها وتغيير أساميها ونزع تماثيلها.. الخ، بما يناسب العهد الجديد ومحو العهد القديم ورموزه.

ومن ضمن التغييرات "ميدان الإسماعيلية"، اللي هيتغير اسمه طبعا، ويتبنى كورنيش على النيل، وطبعا بكده لازم تتهد الثكنات.. ليه!؟ قالك لسببين: أولا عشان هي رمز للمحتل الأجنبي ولازم تتشال، وثانيا لانها عقبة جمالية في المكان بعد فتح الكورنيش، والأحسن تستغل المساحة في حاجات تانية

والعجيب ان الثكنات في يناير ١٩٥٢ قبل الثورة بشهور سُجلت كأثر تاريخي، ولكن القرار ده اتلغى سنة ١٩٥٤

بدأ الهدم على قدم وساق، مع توصيات بالحفاظ على الحليات الخشبية المميزة، واللي محدش يعرف راحت فين؟؟

وتم بناء ٣ مباني في المكان ده، مبنى جامعة الدول العربية، وفندق هيلتون، ومبنى الاتحاد الاشتراكى اللي كان مفروض يبقى مبنى البلدية، وبعدين هيبقى مبنى الحزب الوطني اللي اتحرق في ثورة يناير ٢٠١١

وبسرعة اتبنت كل الحاجات، وبسرعة بقى في نافورة وجنينة كبيرة، وبسرعة اتغيرت معالم المكان تماما، وأصبحت الثكنات أثرًا بعد عين

ومعلش يا زهر...

قصر البارون



الحكاية حكاية مكان مفيش أشهر منه..
قصر البارون ومصر الجديدة اللي اتبنت على حس صاحب القصر
بس لازم قبل ما نحكي عن القصر وعن مصر الجديدة، نحكي الأول عن مصر الجديدة اللي اتبنت على إيد الخديوي إسماعيل، وبقت باريس الشرق.
مصر في عهد إسماعيل حصلها طفرة عمرانية وحضارية هايلة خلتها بقت قبلة لكل الطامحين في مستقبل كبير مالي واقتصادي، وشافوها أرض الفرص والأحلام!!
وأغلب الحكايات اللي بنحكيها عن أجانب وعرب جم مصر وعملوا مشاريع وتاريخ هنلاقيهم جم في فترة إسماعيل وما بعدها. وبالنسبة لصاحب القصر جذبته مصر بعد افتتاح قناة السويس بسنوات طوال، لما بقت السويس والقاهرة بينهم مصالح كتيرة.
بعد افتتاح القناة بقى الطريق للسويس عليه الطلب وفيه سفر وترحال وبضايع، وصحراء العباسية مبقتش خرابة زي الأول، ومن هنا أتى صاحبنا البارون.
والبارون "إدوارد امبان" كان مهندس وبيزنس مان وكان ماسك خط ترام باريس، والظاهر عمل شغل حلو فخد لقب البارون مكافأة، وبعدها عينه زاغت على مصر
سمع ان الحكومة المصرية عاوزة تعمل خط ترام المطرية، فقدم عرض والمنافسين قلشوه، فقرر ينزل القاهرة عشان يكسب التحدي.. بس بشكل تاني.
البارون كان مشهور بالسفر والترحال، زار الهند وبلاد كتير لكن كانت اول مرة يزور مصر

ويبدو فيما يبدو انه انبهر بيها أول ما رجله نزلت أرضها، ويبدو ان السبوبة اللي كان جاي عشان يعملها هتتحول بعد شوية لغرام وولع في حب البلد دي لدرجة انه يقرر يندفن فيها

الراجل اول ما حط رجله في المحروسة لقى ترام المطرية طار من ايده، فعمل جولة في القاهرة وضواحيها وقرر ينزل بتقله في حتة تانية

العباسية من بعد موت عباس حلمي الأول اللي انشأها وهى اتهجرت، لكن الانتعاش اللي عمله إسماعيل خلاها ترجع تاني يبقالها وضعها.

بعقلية البيزنس، دوّر البارون على شريك مصري أو شبه مصري يساعده يدخل في زوارق الحكومة زي باقي المنافسين، عشان المرة دي متطيرش منه الصفقة.. وقد كان

فاكرين نوبار باشا أول رئيس وزرا لمصر؟ أهو الراجل مات وساب ابنه بوغوص اللي مسك سكة حديد مصر في عهد عباس حلمي التاني، ونوبار كان غاوي سلطة ومناصب، انما بوغوص كان غاوى مال وثراء.

صديق مشترك للإتنين لم البارون امبان على بوغوص نوبار وقرروا يعملوا شركة لإعمار رمال العباسية، وقدموا عرض للحكومة بانشاء ترام بكذا خط وكدا.

العرض كان بحق انتفاع لمدة ٧٠ سنة بحالهم، واشترى البارون وبوغوص اكتر من ٥ الاف فدان في الصحرا بجنيه واحد الفدان، ودا كان سنة ١٩٠٥ المشروع كان في البداية يبدو مبشرا، والحكومة قالت دا راجل مجنون جاي يبنى في الصحرا، وعادي احنا الكسبانين. بس بعد شوية حصل حاجة غريبة ولعت الدنيا. الأخ بوغوص بعد ما مضوا العقد مع الحكومة خرج برا الشركة بعدما عملوا أسهم لها والناس اكتتبت فيها اجانب ومصريين!!

وفجأة الرأي العام، خصوصا المساهمين الغلابة، فجروا الموقف وقالوا احنا شاركنا عشان ابن نوبار اللي نعرف ابوه كان موجود انما مين امبان دا..؟!
زائد ان الاسهم غطت تمنها ييجى ٩٠ مرة والبارون عمل حاجة كدا مش مفهومة قوي بس فيما معناه انه فرم المساهمين الصغار لصالح المساهمين الكبار، وفجأة المصريين لقوا الاجانب هما اللي ليهم حقوق وأسهم اكبر وشغلانة كدا، وطبعا اشتكوا، فالحكومة انتبهت ان الراجل دا هيلم عليهم الدنيا!!
راحوا عاملين حركة كده وقالت للبارون نعيد الشروط من تاني أصل الحربية مش موافقة على المشروع عشان دي حدود القاهرة الشرقية، وفى النهاية اتفقوا ان الحكومة تستفيد وهو يستفيد، وبعد ٧٠ سنة يبقى يحلها الحلال
وعشان الموضوع يبقى شيك، الزموا البارون امبان يبني كام خط ترام، وكل ما حولهم من مدينة سكنية متكاملة، يعنى يبني البيوت والمستشفيات والمدارس ويرصف الطرق وعواميد الكهربا، لدرجة انهم حطوا في العقد شرط انه يعمل عربية ملوكي مخصوص للخديوي يركبها تكون مميزة عن أي عربية في الترام دا...!! وكتبوا تفاصيل كتير متعلقة بعربية الستات والاطفال ميدفعوش ومعرفش الكراسى شكلها ايه، وكل حاجة كل حاجة، والراجل وافق وقال حاضر.. بس مش ببلاش!!
لأن العقد القديم كان منصوص فيه انه هيشترى حوالي ٥٩٥٢ فدان بجنيه الفدان، اما الإتفاق الجديد فكان نفس المساحة ومساحة قدها بالضبط.. يعنى الضعف! وبنفس المبلغ.. الفدان بجنيه

بس المكان الجديد ده كان هو حر فيه بقى، يعمل ما بداله ويبيع فيه براحته والحكومة ملهاش دعوة بيه!! والراجل مضى وهو كسبان كسبان، وبوغوص نوبار اللي كان مجرد منظر وبرافان أخد حسنته واتكل على الله والحكومة اتراضت، وابتدى البارون امبان بقى في مشروعه الاكبر وهو بناء مدينة متكاملة عشان تكون هيليوبليس الجديدة مكان مدينة اون القديمة من أيام الفراعنة!

وبمساعدة صديقه "إرنست جسبار" اتعملت رسومات المدينة الجديدة اللي اساسها كان جناين اكتر وإنشاءات أقل، وفى سنة ١٩٠٧ بدأ الشغل على قدم وساق.

فكرة البارون كانت مجنونة اصلا لأن المكان كان بعيد عن قلب البلد و مين هيروح هناك ؟؟ بس الحقيقة انه كان راجل شاطر وفكرته جذبت الكثيرين خصوصا الأجانب، اللي كانوا عاوزين مكان على طراز بيفكرهم ببلادهم وفيه خصوصية وحماية شوية ومستوى خدمي معين، حاجة كدا زي مدينتي والرحاب.

المهم... البارون البلجيكي الأصل بنى مصر الجديدة على طراز اوروبي فريد جمع بين اكتر من شكل، وعلى عكس المتوقع ابتدى الناس تشترى في الحى الجديد دا اللي كان آخر الدنيا فعلا، والبارون جنب اللي دفعه بدأ يكسب مكاسب خرافية...!

ويقال انه انبسط قوي وحب مصر جدا، فقرر بأرباحه دي يبني لنفسه قصر على طراز ألف ليلة وليلة كدا.. ومن هنا... نبدأ حكاية قصر البارون.

☪ ☪ ☪

الراجل طبعا كانت الأرض كلها بتاعته، فاختار حتة وقرر يبني لنفسه فيها قصر على الطراز الهندي.. طب ليه؟

بيتقال انه مرة في زيارة من زياراته للهند تعب قوي وكان على وشك يموت، والهنود عالجوه بطرقهم الشعبية، فلما خف قرر يكرّمهم، وجت له الفرصة دي لما بقى عنده مدينة كاملة تحت أمره، وشاف تصميم للقصر دا من مهندس في باريس راح باعتله وتعاقد معاه يبني قصر وكنيسة وغيرهم.
المهندس المعماري الفرنسي دا كان اسمه "ألكسندر مارسيل"، ويقال انه قعد يبني في التحفة المعمارية دي ٥ سنين لحد ما خلصت، والبارون امبان كان بيتباهى بيها وقرر يعمل حفلة، وعزم السلطان حسين كامل بذات شخصيته عشان يحضر الحفلة، وحسين شاف القصر وركبه ميت عفريت.
الحكاية إنه راجل متربي ومتعود على القصور، وكان عادي يشوف قصر مبهرج شوية.. بس لما طلع البرج بتاع القصر وشاف مصر كلها قصاده.. اتهبل
واللي زاد وغطى انه لقى البارون بيقوله وبمنتهى البساطة القصر يا مولانا قاعدته على "رولمان بلي" وممكن دلوقتي أخليه يلف بينا واحنا في مكاننا!!
البارون كان بيتباهى بتحفته، وعنده حق طبعا، بس ميعرفش بقى ان السلطان حسين كامل هيقوله بيعلي القصر دا!!
أيوه دا اللي حصل.. السلطان طلب يشتري القصر، والبارون ركب دماغه ورفض طبعا وعرض عليه يبني له قصر زيه
وبالفعل البارون بدأ يبني للسلطان قصر في مواجهة قصره، وعمله في وقت قياسي، بس طبعا مش بنفس الروعة ولا الجمال والتفرد
السلطان حسين خده ممتعض وأعطاه لمراته السلطانة ملك تقعد فيه، وحاليا هو مدرسة، والمهم مخدش حسين القصر

القصر مستوحى من طراز يجمع بين التراث الهندي والتراث الياباني وشكل معابد الخمير والهندوس، ودا سر غرابته وتفرده بين القصور اللي اتبنت وقتها وبعدها..

حجمه من جوا مكنش كبير ولا عدد الأوض فيه كمان، وأصلاً عدد سكانه كانوا قليلين جدا، البارون وأخته ويقال بنته.... بس شهد القصر حفلات ياما وصفوة المجتمع وقتها أجانب ومصريين

والبارون اللي جه مصر بيزنس مان، هيقرر بعد قعاده شوية انها تكون مستقره الأخير، ويسيب وصية انه يندفن فيها حتى لو مات بعيد عنها.

وعلى مسافة مش بعيدة، يبني كنيسة البازيليك ويوصي انه يندفن فيها، ويقال انه عمل سرداب بين قصره وبين الكنيسة، واللي بنى الكنيسة هو هو مهندس القصر مارسيل.

عاش البارون امبان في قصره العجيب، وجاله كانسر فسافر اوروبا يتعالج، ومات فنقلوه مصر حسب وصيته عشان يندفن فيها، ودفنوه فعلا في كنيسته.. الكلام دا كان تحديدا سنة ١٩٢٨، وجم ولاده الاتنين "جان" و "لويس" عشان يقسموا التركة، فكان القصر من نصيب "جان".

والظاهر ان جان مكنش زي أبوه ولا كان حابب مصر ولا غاوي يقعد فيها، زائد ان تركة الوالد كانت في اوروبا برضو ومش مصر، بس فهجر القصر ومهتمش بالقعاد فيه واكتفى بزيارات متقطعة بين حين وآخر هو وأولاده، وفضلنا كدا لحد ثورة يوليو ما قامت.

وكالعادة الضباط الأحرار خدوا العقارات اللي ورثها أولاد البارون عن أبوهم وبنك ناصر حط ايده عليهم، أما القصر ف "جان" لحق نفسه وباعه لواحد سوري، ومحدش فاهم الاخ السوري اللي اشتراه دا ايه نظامه، لأنه

برضو هجر القصر وسابه كدا زي البيت الوقف، ومعملش فيه أى تجديد ولا سكنه ولا استغله ولا كان عاوز يبيعه. وطلعت سمعة مش حلوة عليه، وإن فيه أشباح وأرواح وحاجات كدا، والكلام اللي قاله الجيران وسكان هذه المنطقة من انهم كانوا بيسمعوا أصوات مزيكا في الفجر وحريقة تولع وتنطفي وأنوار تنور وتطفي وما شابه...

والسبب في جو الرعب دا حسب ما كُتب في أكتر من مصدر، ان اخت البارون امبان ماتت موتة مش اللي هيا في القصر دا.. يقال انها وقعت بالغلط من بلكونة من بلكونات القصر وانها حاولت تستنجد بأخوها اللي ملحقهاش، وماتت.

وبيقولوا كمان ان البارون حزن عليها جدا وكان بيعتبر نفسه مسئول عن موتها، واتقال كلام ان روحها مخرجتش من القصر، وفيه اشاعة تانية بتقول ان البارون كان عنده بنت اسمها ماريام وماتت برضو في القصر لما لقوا جثتها في بير الأسانسير الداخلي للقصر، بس دا مشكوك فيه..

أغلب المصادر اللي قريتها محدش جاب سيرة ان كان عنده بنت، أغلبهم قال ولدين وله احفاد. محدش جاب سيرة ماريام دي إلا مقالة واحدة يتيمة!

بس المصادر أجمعت ان الراجل كان عنده صرع بيجيله في شكل نوبات، وكتير الخدم كانوا بيلاقوه واقع في بلكونة القصر أو الروف؛ وطلعت إشاعات ان البارون كان بيشوف روح اخته بتمشي في القصر وبيكلمها وتكلمه والحاجات دي، فالقصر بقاله سمعة مش اللي هيا

ويظهر السمعة دي اتنقلت للإبن اللي باعه للأخ السوري اللي فضل مسقعه كدا ولا بييجي جنبه، لحد ما جت سوزان مبارك اللي زقت وزير الإسكان وقتها إبراهيم سليمان اللي عمل صفقة مع ورثة الأخ السوري وقرروا

ياخدوا القصر، وطبعا الطبيعي ان القصر دا يبقى تبع الأثار، لكن سوزان مبارك قررت تضمه لوزارة الثقافة، ويقال انها كانت عاوزة تضمه لقصور الرياسة بس بما انه كان قرّب على ١٠٠ سنة فبالتالي هيدخل ضمن الأثار.
بس بعد شوية تم اهمال القصر من تاني، ورجع يتبهدل واللي يدخله يخرّب زي ما هو عاوز، وتسمع وتقرى حكايات عجيبة عن ناس بتدخله وتختفي ومتخرجش، وعن اوضة في الدور الأرضي سكناها روح أخت البارون، وحادثة عبدة الشيطان المشهورة لما انقبض على الشباب في بدروم القصر وكانت هيصة وقتها. والقصر رغم جماله وروعته حتى وهو مهجور ومهمل كدا، إلا انه لسمعته المخيفة مكانش محل اهتمام حد.. اتصور فيه في السبعينات فيلم لشادية وحسين فهمي، واتصور فيه أغنية ولا اتنين في التمانينات، وبس على كدا، عكس قصر السكاكيني مثلا!
وفى ٢٠١٧ بدأ مشروع لترميم القصر عن طريق منحة جاية من بلجيكا بتكلفة ١٠٩ مليون جنيه، واحنا في انتظار افتتاحه اللي تأجل حتى الآن.

شبرد فندق بروحين



الحكاية هاتبدأ من الأزبكية، اللي كان بيغمرها الفيضان فتعمل بركة الناس تتفسح فيها ويسكنها الأثرياء، ومن وسط الناس دي هيظهر اسم مراد بك الألفي جليا وواضحا.. المملوك اللي اشتراه مراد بك بألف أردب من الغلال ومن هنا سموه الألفي، والراجل ده كعادة أمراء المماليك في هذا الزمن هيغتني غنى فاحش ويعمل لنفسه مملكة صغيرة ويشتري مماليك كتير للخدمة والحراسة وتكوين جيش مصغر ينفعه وقت اللزوم، وهيبني لنفسه قصور، أشهرها وأهمها قصر في الأزبكية مقصد أثرياء هذا الزمن، ويقال ان القصر كان حاجة أبهة ع الأخر.. عمدانه الرخام جاية من برا مخصوص، وصاحبنا خلص بناء القصر من هنا وقعد فيه حوالي بتاع إسبوعين وسافر على الصعيد، وبعدها الحملة الفرنسية جت على مصر ودخلوا القاهرة، ودهسوا القاهرة بضواحيها ودخلوا على حي النخبة ونشنوا على قصر الألفي عشان يحتلوه ويخلوه مقر للقيادة.

قعد الفرنساوية في القصر يحكموا منه، لحد ما جاء شاب سوري جدع، وفى ليلة أشد جمالا من أي ليلة، هيدخل الشاب السوري "سليمان الحلبي" على الجنرال "كليبر" ويقتله، وده كان سنة ١٨٠٠ ثم ترحل الحملة كلها بعدها بسنة ويسيبوا قصر الألفي خاويا على عرشه بعد ما شاف أهوال ومِحَن لمدة ٣ سنين.

بعد رحيل الفرنساوية الصراع اشتد بين المماليك والعثمانيين والانجليز، وكل واحد عايز ياخد التورتة أو حتة منها، والألفي كان من ضمن العالم دي، ودخل في صراع مع العثمانيين، ومن بعدهم دخل في حرب تكسير عظام مع "محمد علي" اللي انتصر فيها الباشا في النهاية.

ومات الألفي شريداً بعيد عن قصره المنيف، والألفي مش حكايتنا، ولكن القصر هو اللي حكايتنا، لأن قصر الألفي بعد رحيل الحملة الفرنسية هيتحول لمخزن سلاح، ثم بعد ما محمد علي يمسك الحكم هيقرر يردم بركة الأزبكية ويغير معالم المكان، وهيتعمل مكان البركة حديقة، وزينب بنت محمد علي هتحول قصر الألفي لمعهد ديني، وتفضل منطقة الأزبكية تتغير وتتطور لحد ما يجي راجل انجليزي ومعاه حلم.. الراجل الانجليزي كان إسمه "صمويل شبرد" واللي هيشوف في مصر فرصة حلوة للكسب وتحقيق حلمه في عالم الفندقة.

المهم.. الراجل هيتحرك سريعا وهيعرض إنه يشتري اللي فضل من قصر الألفي ويحوله لفندق بالشراكة مع واحد انجليزي تاني اسمه "هيل"، لكن شبرد هيفضل في الواجهة لما شاء الله، وهاياخد قصر الألفي أو اللي بقى منه، وكان أحد قصور الحريم، وهيعمله فندق ويسميه الفندق البريطاني ويبتدي بداية صغيرة.

الكلام ده سنة ١٨٤١ لما ابتدت سياسات "محمد علي" في استقطاب الأجانب لمصر تزيد، والقاهرة بقت الرِجل عليها أكتر م الأول، وبعد أقل من خمس سنين وبإدارة الراجل الطموح هيبتدي الفندق المتواضع ينعرف ويكبر واتغير اسمه "لفندق شبرد".

مصر في أواخر عهد "محمد علي" وبعد كده ابتدت تتملي بالأجانب، والقاهرة ابتدت تتغير معالمها، وشارع الموسكي يتمدد ويوصل من الأزبكية لحد خان الخليلي، والقاهرة بقت ترانزيت للمسافرين من أوروبا للشرق، وشبرد بإدارته المختلفة عن إدارة الشرقيين لخدمة المسافرين كان هو البريمو،

لأنه قبل وجود الفنادق بشكلها الحالي كان الرحالة والأغراب لما بينزلوا مصر بيقعدوا في حاجة اسمها "وكالات" أو بيأجروا بيوت من بابها.

شبرد بقى عمل شكل مختلف عن السائد وقتها، زائد إنه قدم الخدمة اللي الأوروبيين عارفينها، وبالتالي نجح في إنه يخلي الفندق قِبلة لكل القادمين من الغرب. ويقال إنه حفر في جنينة الفندق حمام سباحة، ويقال كمان ان شبرد بحكم موقعه في قلب القاهرة كان لوحده حكاية، وكأنه أثر أو معلم سياحي، ومجلة "أخبار لندن" المصورة الشهيرة كتبت عنه في عام ١٨٥٧ قائلة: (**ربما لا يمكن لك بأي فندق في العالم أن ترى هذا الخليط من البشر ذوي المكانة المرموقة من مختلف دول العالم كما يرى المرء بشكل يومي لو جلس على منضدة في الصالون الرئيسي بفندق شبرد"**

وقتها مكنش حد بينافس شبرد تقريبا إلا بعض الفنادق اللي أي كلام وعلى قدها، بس بعدين هيطلع أسماء وفنادق تانية تنافسه لكن متقدرش تحصّله احنا لحد دلوقتي مبعدناش عن عهد "محمد علي" وحفيده "عباس حلمي الأول" ودخلنا في عهد "سعيد"، والفندق يقال إنه اتحرق وناس قالت إتهد واتبنى تاني للتوسعة، وكان مقصود الحكاية دي مش حادثة ولا حاجة، بس هو المؤكد انه في عهد إسماعيل هيكون له شأن تاني خالص بسبب حلم إسماعيل في بناء قاهرة أوروبية، وفعلا هيحصل وفندق شبرد هيكون له نصيب كبير قوي من النقلة الحضارية دي بحكم موقعه في ميدان.. هيكون زي ما علي مبارك قال كده، أصبح "سُرة القاهرة" وأقصد ميدان الأوبرا واللي هيعمل فيه إسماعيل حديقة الأزبكية ويخليها تحفة، ويبني دار للأوبرا عشان "أوجيني" تحضر فيها حفله بمناسبة افتتاح قناة السويس، وده كان

سنة ١٨٦٩ ويعزم أكابر أوروبا، وبنى قصور وانشاءات وطرق وكباري بالمناسبة دي.

شبرد بقى ناله من الحظ جانب، لأن في الوقت ده هييجي راجل هنسمع اسمه بعدين في عالم السياحة، واسمه "توماس كوك"، والراجل ده كان برضه طموحه عالي، وكان له علاقات قوية بالخديوي إسماعيل، وأخد منه إذن وعمل معاه اتفاق إنه يحط مصر ضمن خط سير الرحلات اللي كان بيعملها للأوربيين، وكانت تشمل بيروت – القدس – القاهرة – الإسكندرية

ونظرا لأن القطارات مكنتش لسه بكامل قوتها ولا انتشارها، فكانت السياحة النيلية هيا الأساس، وطبعا الأجانب انبهروا بالجو الأورينتال ده جدا. وبعد التغيرات الرهيبة اللي عملها إسماعيل في البلد، مصر بقت ملتقى لكل الطامحين والراغبين إما في الثراء أو حتى مجرد الفسحة والمتعة، وغير كده هييجي بعدين إما في صورة ولع بالشرق وتفاصيله والرغبة في العيش في بلاده، وإما الولع بالاستيلاء على هذا المكان بثرواته وأهله.

ونرجع لشبرد اللي بيقولوا إنه سنة ١٨٦٨، وقبل افتتاح القناة بسنة تقريبا، اتعمل له عمرة شاملة واتبنى في مكان أوسع واتزحزح شوية من مكانه وبقى من شارع جانبي قصاد جنينة الأزبكية، وزادت مساحته جدا وبقى حاجه أبهة وبقى وجهة الأجانب الجايين يحضروا افتتاح القناة.

فى شبرد اتقابل "مارييت باشا" والموسيقار "فيردي" عشان يحضروا لأوبرا افتتاح القناة، وكان المقرر لها تتعرض في الأوبرا الخديوية، وبعد شوية لما إسماعيل عمل فرح أنجاله، شبرد مكنش فيه مكان لِرجل بسبب تزاحم

الأجانب المعزومين في الجوازة دي، وفضل شبرد مقصد اللي عاوزين الونس والفرجة، اما اللي غاويين آثار وتاريخ فكانوا بينزلوا في "مينا هاوس".

شبرد هيكون له معاد مع واحد تاني طموح وهو "بهلر"، والراجل ده هيتقدم لوظيفة محاسب في فندق شبرد، لكن زوجة صمويل شبرد هتتحمس له وتدفعه بالتوصية عليه عشان ياخد منصب أكبر، وواضح انه كان محظوظ لأنه يقال إنه كسب في اليانصيب ثروة وراح مشارك صمويل شبرد، اللي كان وقتها كبر في السن وضعف، والموضوع ده كان سنة ١٨٨٨.

بهلر ده حدوتة، وبيقولوا إنه هيكبر ويتوسع ويعمل أول شركة لإدارة الفنادق بالمعنى الإحترافي في مصر، وهيشتري عمارات في وسط البلد بالهبل لدرجة إنه بين شارع قصر النيل وشارع طلعت حرب هيمتلك شوية عمارات وبينهم ممر هيتسمى بإسمه مخصوص "ممر بهلر".

بهلر هيعمل امبراطورية ويشتري فنادق، وهيفضل ورا صمويل شبرد لحد ما يشتري منه الفندق ويعمل فيه حركة تجديدات وتوسعة أكتر.. جنب الفندق كان في كافيه اسمه "نادي الجندي" بهلر هيشتريه عشان يضمه على الفندق لزيادة الطاقة الاستيعابية، وبقت علامة شبرد تجارية بينعرف بيها المكان، وأحد المطاعم اللي تخصصت في عمايل جمبري كتبت إعلان في "إيجيبشان جازيت" وقالت فيه: (**يعلن المحل عن أسعار خاصة مخفضة للسادة المقيمين في فندق شبرد**)

والكلام ده كان برا الفندق.. أما جوا الفندق بقى فحدّث بكل فخر عن مطعم شبرد اللي كان بيقدم كل الأكلات على تنوعها، ما بين المينيو الإنجليزي للفرنسي للإيطالي للبناني للمصري، وكله لخدمة القادمين من كل مكان.. مش كده وبس، احنا هنكتشف كمان ان شبرد كان جواه مكان

مخصص لواحد جواهرجي مشهور وقتها اسمه "منصور" وكان بيقدم خدماته لنزلاء المكان

وطبعا غير ولع الأجانب بالشرق ومظاهره، كان العاملون بالفندق لوحدهم لوحات بتترسم، وكله كوم وشرفة فندق شبرد كوم تاني، ويقال ان الفندق كان له حديقة رسموها الفنانين واتغنوا بيها، لكن في الواجهة كان في شرفة بتبص على الشارع وكانت بهجة سواء للى قاعد فيها أو اللي معدي قصادها، يعني تقعد تشرب الدرينك بتاعك وتتفرج على الحاجات الحلوة، بياعين، حواه، وناس ماشية، ده غير المزيكا اللي كانت بتعزف.

أحد الضباط الفرنسيين إسمه "بيتر لوتي" قعد في شبرد كتب عنه وقال: **(ما أغرب المكان الذي يضج بالسياح من كل مكان في العالم، وفى الخارج يبدو كل شيء متناقضًا، فالفقر بجوار الثراء، والحفاه بجوار الخواجات، والحفلة التنكرية بجوار المولد، وراقصات التانجو بجوار الغوازي، والردنجوت بجوار الجلباب الشعبي، إنني لم اندهش لرؤية الأهرامات الساحرة بقدر دهشتي لتناقضات الثراء والبؤس وهما يعيشان في الأزبكية)**

شبرد حضر مناسبات وأحداث كتير قوي بإعتباره تجميعة للقادمين من الغرب، وكان مقصد النخبة من الشرق وأهل مصر، وبحكم موقعه الشخصيات الكبرى اللي كانت بتنزل القاهرة كانت بتروح قصر عابدين تمضي في دفتر التشريفات حضور وبعدين تروح على شبرد. وبعد احتلال الانجليز لمصر ١٨٨٢ اتملى الفندق بالبدل الضباطي والشخصيات السياسية أكتر من أي حد، لكن بعد شوية ظهر للفندق منافسين جدد، وابتدى يظهر أسامي تانية في نفس المكان.. فندق الكونتننتال – بريستول – عدن –

وغيرهم كتير، لكن فضل شبرد جوهرة التاج على حد قول استاذ محمد جمال مصدر هذه القصة، ودخل الفندق على خمسين سنة خبرة وسمعة.
بدأت العاصمة تتمدد أكتر وتتملي عمارات فخمة وفنادق وميادين تتهيأ، وظهر "البارون امبان" عشان يبني ضاحية مصر الجديدة، ويتعمل مضمار لسبق الخيل وتبقى مصر قبلة للسياح في الشتا ويتمتعوا بالدفا والفرجة على الخيل والأهرامات، وفى الصيف يقعدوا في وسط البلد وفنادقها.
ورغم ان مثلا سنة ١٩٠٢ مرض الكوليرا هيطفش النزلاء من شبرد، لكن في سنة ١٩١٢ مش هاتلاقى أوضة فاضية بسبب التزاحم على حضور حفلة "أوبرا عايدة" اللي هيعملها "الخديوي عباس حلمي الثاني" عند سفح الهرم، وساعتها القعدة على رصيف شبرد حتى هتبقى بضرب النار والخناق.
المبهر ان شبرد من كتر ما كان علامة مميزة، كان أي واحد أجنبي ملوش عنوان ثابت وعاوز حد يبعتله جوابات كان بيبعتهاله على هناك، مش كدا وبس.. ده كمان بقى يتحط على الكروت البوستال، ومن شهرة المكان وأهمية نزلائه أحد الصحفيين استغل الحكاية وعمل مجلة فضايح على قده كده وسماها "أبو الهول" وكانت مصدرها الأوحد أروقة فندق شبرد.
ويروح الخديوي عباس حلمي التاني وييجي مكانه "حسين كامل"، وتبقى البلد سلطنة تحت الحماية البريطانية، وشوية وتقوم الحرب العالمية الأولى ويقل نزول الأجانب مصر كسياح، لكن هييجوا في شكل ضباط وساسة وكمان جواسيس، ويقال إن لورانس الشهير "بلورانس العرب" كان رايح جاي من شبرد لمينا هاوس عشان يتمم مشاويره اللطيفة إياها.

ومين كمان من أشهر نزلائه؟ يقال ان في دفتر الفندق كان نزل فيه "بيرس كوكس" المندوب السامي لبريطانيا في العراق، و"هربرت صمويل" المندوب السامي في فلسطين وزعماء وساسة كتير، ده غير صفوة المجتمع.
الناس اللي دايسة في وسط البلد تسمع عن مكتبة "لينرت" و "لاندروك" كويس، الإتنين الأصدقاء دول جم في مرة كده واتفقوا يأسسوا مكتبة تضم كل اللي قدروا يصوروه من ملامح مصر وحضارتها وناسها، والإتفاق ده تم في فندق شبرد بردوا، وطبعا شبرد ناله من الفوتوغرافيا جانب. وفى سنة من السنين نزل أحد المترجمين الفرنساوية وإسمه "رينيه جينو"، وكنت حكيت قصته في الجزء الأول من السلسلة دي، والراجل نزل عشان يترجم كام حاجة لدار نشر، ونزل في فندق شبرد، ويدوب قعد شوية وبعدين اتعرف على أحد مشايخ الصوفية وانجذب للجو والروحانية، وبعدين أعلن إسلامه وبقى الشيخ "عبد الواحد يحيى" وساب فرنسا والترجمة والشغل وشبرد، وراح يجاور سيدنا الحسين وقعد في مصر لغاية ما مات.
فى شبرد اتعمل مؤتمر صحفي بمناسبة أول فيلم مصري ناطق "أولاد الذوات" وخطب فيه حافظ إبراهيم، وفي شبرد هنسمع عن ميلاد "الروتاري" واختيار د.محمد شاهين، طبيب الأسرة المالكة، كأول رئيس له.

وندخل الحرب العالمية التانية، ويبدأ شبرد يتملي بالضباط من تاني، والمرة دي هنسمع إسم بارمان يهودي يقال انهم احتاروا فيه ان كان جاسوس ولا لأ، وكان اسمه "جو سيالون" ومحدش وقتها عرف عنه غير إنه يهودي من أهل الزقازيق وكان في أول الخمسينيات ومتجوزش وكان كريم جدا وبيعطف على الجرسونات والعمال المصريين الغلابة، وبيوزع عليهم جزء

كبير من مرتبه، والظاهر كان شاطر في مهنته لأنه اشتهر بكوكتيل، وقالوا ان كلا من: روزفلت وتشرشل وديجول كمان لما نزلوا شبرد في زيارتهم لمصر شربوا من كوكتيله العجيب ده، وبعد انتهاء الحرب العالمية التانية، اختلف نزلاء الفندق والمترددين عليه تماماً، ودخلنا بقى في صفوة المجتمع المصري والمتطلعين والطموحين، وحديقة وقاعات شبرد هتشهد حفلات راقصة وسهرات ونجمات سينما زي "كاميليا"، وبيقولوا انها كانت سهرانة في شبرد وشافها واحد من المخرجين الأجانب وعرض عليها دور في فيلم هيتصور في مصر قريب وطبعا وافقت، ومش كاميليا لوحدها اللي نجمها علي في شبرد.. "سامية جمال" كمان الملك فاروق لما سمع عنها راح عشان يشوفها.

شبرد زي ما حكينا في الأول كان في الأزبكية ولازق في ميدان الأوبرا وبالقرب من قصر عابدين، فكان بيشهد مظاهرات كتير كل شوية من أيام سعد زغلول وضد الملك فؤاد، شوية ولما مات بقت ضد فاروق، شوية وكمان ضد الانجليز.. لكن ايه اللي حصل بقى وأين ذهب شبرد؟

المأساة الكبرى بتاعة حريق القاهرة لما الناس قامت يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ على فزع وحرايق في كل حتة في وسط البلد، وشبرد كان من ضحايا الحريق ده ومفضلش منه حتة سليمة، وبعد هذا اليوم اللي سمي بـ "السبت الأسود" شبرد اتحرق وضاعت محتوياته وأمتعة نزلاؤه، وناس قالت فاروق اللي عملها، وناس قالت الاخوان اللي عملوها، وناس قالت الانجليز اللي عملوها، وناس قالت اليهود اللي عملوها، لكن محدش عارف الحقيقة فين لحد النهاردة.

وكتب أحد المراسلين وكان اسمه "جون جونتر"فى مجلة "Inside Africa ":

(قد ذهب جزء من مجد القاهرة إلى الأبد، ولا أدري هل من الممكن ان تستعيد القاهرة جوهرتها الفندقية الثمينة، أم أن ذلك أصبح من ذكريات الماضي الذي لا يعود)

الإجابة مافضلتش كتير، لأنه كام شهر على حريق القاهرة وقامت حركة الجيش أو "ثورة يوليو"، ثم زي كل حاجة تبع الأجانب تم تأميم أصول شبرد، وصدر قرار بإعادة بناء الفندق لكن في مكان تاني، واختاروا له المكان اللي على النيل شمال فندق "سميراميس"، والدولة اللي أممت قطاع السياحة والفندقة بَنَت شبرد الجديد بتكلفة مليون جنيه تقريبا سنة ١٩٥٧ وطلعوا طابع بريد بمناسبة الإفتتاح والفندق الجديد بقى له نزلاء جدد اختلفوا عن القدام طبعا.

زوار مصر بقوا ضيوف ودبلوماسيين وسياح الكتلة الشرقية، وعائلات المهندسين السوفييت اللي شاركوا في بناء السد العالي، وكان شبرد هو المكان المفضل لهم

فى فترة السبعينيات والثمانينيات. شبرد رغم عراقة الإسم والتاريخ مقدرش يحافظ على نفس الرونق القديم، ولا أخد من حظ أخوه الأصلي في الأزبكية، وضيفوا على كده ظهور فنادق جديدة، لحد ما جاء الى مصر رجل أعمال مصري ساب مصر وهو مفلس وكان عنده ١٩ سنة، ورجع من الأثرياء واشترى شبرد وأداره تبع شركة هلنان، والراجل ده إسمه "عنان الجلالي"، وأصلح حال الفندق وجدده وروقه وبقى إسمه "هلنان شبرد" لغاية ما أخدته شركة إيجوت "الشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق"

وبس كدا، بقى ده حال شبرد الجديد، اللي قعد على كورنيش النيل جنب فندق سميراميس الجديد بردوا.. وشكرا.

الورداني غزال البر

قولوا لعين الشمس ماتحماشي

لاحسن غزال البر صابح ماشي



الحكاية عن شاب مصري اللي لخص الموضوع في جملة واحدة لما سألوه ليه قتلته ؟؟

فقال.. **"لأنه خائن للوطن"**

الحكاية بدأت الساعة الواحدة بعد الظهر يوم ٢٠ فبراير ١٩١٠ لما يخرج من مقر عمله المذكور "بطرس غالي" رئيس وزراء مصر في هذا التوقيت لما كانت مصر تحت الاحتلال الانجليزي واللي كان على عرشها الخديوي "عباس حلمي التاني"

خرج بطرس غالى ومعاه

١.حسين باشا رشدي، ناظر الحقانية

٢.فتحي زغلول، وكيل الحقانية

٣.عبد الخالق ثروت، النائب العمومي

٤.أرمولي بك، تشريفاتي الخارجية

ورايح يركب العربية لقى شاب من ورا بينده عليه عشان يقف وبيقول له معايا عريضة عاوزك تبص عليها، ولسه بطرس هيبص وراه سمع طلقات مسدس في ضهره وإذ به يكتشف انه هو اللي بينضرب بيها! كانوا رصاصتين، وبيتلفت عشان يشوف مين اللي عملها لقى الفتى بيضربه ٣ رصاصات كمان في كتفه ورقبته، ورصاصة سادسة طاشت وجت في هدومه، ووقع الباشا على الأرض واتلمت الدنيا.

حسين رشدي، وزير الحقانية (العدل حالياً)، بص للجاني كويس وهما بيقبضوا عليه ويكتفوه واكتشف انه يعرفه.. قرب منه وخبطه بإيده وقاله ليه تعمل كدا؟! الجاني بص له وسكت، وكان "إبراهيم الورداني"

إبراهيم ناصف الورداني أو غزال البر كما سماه المصريون بعد حادث الاغتيال الشهير

☪ ☪ ☪

وفلاش باك شويتين لورا عشان نفهم عمل ايه بطرس غالي عشان ينضرب بالرصاص، ومين إبراهيم الورداني دا اللي اتجنن وعملها؟!!!

بطرس نيروز غالي، من مواليد بني سويف ١٨٤٦. كان أبوه بيشتغل ناظر للدايرة السنية لواحد من اخوات الخديوي إسماعيل في الصعيد. أبوه علمه كويس واتنقل في المراحل التعليمية من الكتاب بقريته للمدرسة القبطية بالقاهرة، وبعدين دخل مدرسة البرنس مصطفى فاضل، وفيها اتقن اللغة الإنجليزية والتركية، ولما خلّص رجع اشتغل مدرس في المدرسة القبطية اللي كان فيها قبل كدا، وسافر أوروبا يتعلم هناك ورجع، وكانت الثورة العرابية في عز عزها.

كان هو في الوقت ده اترقى في المناصب من باشكاتب مجلس التجار في اسكندرية، لسكرتير نظارة الحقانية، ثم وكيل ليها في سنوات قليلة جدا. وهوب اخد الباشوية، واللي انعم عليه بيها الخديوي توفيق سنة ١٨٨١، وبيقولوا ان بطرس غالي كان أول قبطي ياخد الباشوية.

المهم الثورة العرابية قامت وبطرس كان من رجال الدولة المخلصين، لكن بدهائه اخد صف التهدئة وكان بينصح بالتفاوض مع العرابيين، وعرابي وثورته هزمتها الثورة المضادة، واتنفى ودخل الانجليز مصر وقعد توفيق شوية وغار، ومسكها ابنه عباس اللي استعان ببطرس في الوزارات المتعاقبة اكتر من مرة

مرة وزير مالية، ومرتين وزير خارجية، وآخر وزارة قعدها من نوفمبر١٨٨٥ لحد نوفمبر ١٩٠٨، ودي كانت مدة طويلة بتقول معاني كتير،

ان بالبلدي كدا الراجل كان راجل الانجليز وأسيادنا راضية عليه، والكلام دا اتحقق قولًا وفعلًا بطريقته في إدارة الأمو،ر واللي كلها كانت بتصب في صالح الانجليز والقصر.
الحكاية بدأت تحديدا سنة ١٨٩٩، لما وقّع بطرس اتفاقية خاصة تدي للإنجليز الحق (مع مصر) في الحكم والسيطرة على السودان، والدنيا قامت عليه إزاي يعمل كدا! وييجي في سنة ١٩٠٩ هيخرج قانون قديم من الأدراج اسمه قانون المطبوعات عشان يضيق بيه على الجرايد والصحافة اللي بتهاجم سياسات الحكومة والقصر.
فى شهر مارس هيعمل كدا، وفى يوليو من نفس السنة - ١٩٠٩ يعني- هيوافق على اصدار قانون النفي الإداري عشان يقرف أى موظف يخرج عن المطلوب والمفروض، ويكمل الحكاية بمشروع مد امتياز قناة السويس للأجانب. وكل دا كوم ومحاكمة دنشواي كانت كوم تاني، واللي هيكون هو القاضي اللي حكم على الفلاحين المصريين بالاعدام والجلد.
وزير الحقانية في هذا الوقت كان غايب لأسباب ما، فعلى حظ بطرس باشا غالي انه كان بيقوم بأعماله، وانتدب لرياسة محكمة دنشواي، ومكنش لوحده، وكان عضو في هيئة المحكمة، بس كان المصري الوحيد، واللي زي ما قال بعدين انه اضطر يوافق مرغما على الأحكام، وانه فعلا اعترض على شنق واحد ومسمعوش كلامه. واتشنق الفلاحين الغلابة ظلما وعدوانا، واتوصم كل من شارك في هذه المحاكمة، والحركة الوطنية بإجمالها فضحتهم:
بطرس غالي.. القاضي
فتحي زغلول.. أخو سعد زغلول.. وكيل النيابة

إبراهيم الهلباوي.. محامي الدفاع واللي كان نيران صديقة في القضية!!
التلاتة دول اتفضحوا، والوسط السياسي كان قرفان منهم لموقفهم الزفت في دنشواى
المختصر بعد دنشواي بطرس غالي هيبقى من المقربين لعباس حلمي، ويتنطق لحد ما يبقى رئيس الوزراء، وبعدين يبتدي ينفذ سياسات الاحتلال على أكمل وجه، ويصدر في القوانين لحد ما تيجى سنة ١٩٠٩ وتبقى دي القشة التي قصمت ظهر البعير، لما يعمل مشروع مد امتياز قناة السويس، وهيفضحه الراجل الجدع محمد فريد.
محمد فريد كان ماسك الحزب الوطني بعد وفاة مصطفى كامل على طول، وكان هو الحزب الوليد اللي مبهدل الاستعمار مع ظهور الحركات الأخرى. فريد أخد كل تفاصيل المشروع ونشرها في جريدة اللواء، والقناة هتضيع الحقونا، وطالب السياسين بعمل جلسة لمناقشة المشروع دا عشان نشوف ايه الحكاية. وبالضغط على الخديوي عباس تم تحديد المعاد، لكن في شاب جدع مش هياكل من الكلام ده وهيقوله كفاية عليك كدا.
إبراهيم الورداني كان مجرد فتى يتيم محدش يعرف مستقبله هيكون إزاي، لولا احد الأقارب من بعيد -وكان راجل موسر واسمه "ظفيل باشا" اللي اخده ورباه- والظاهر الباشا دا لقى إبراهيم ذكي ونابه ودماغه كويسة، فبعد ما أخد البكالوريا بعته سويسرا يتعلم صيدلة، وبعد سويسرا سفره انجلترا يكمل تعليمه، ورجع إبراهيم من بلاد برا وهوه ناقح عليه عرق الوطنية اللي كان بيسري في مصر في هذا التوقيت، وانضم للحزب الوطني وشبابه، والباشا اللي رباه فتح له صيدلية في عابدين، والجدع انشغل فيها جنب النشاط السياسي اللي اكل دماغه، ولقى ان الحزب مش كفاية، فانضم

لجماعة سرية كان اسمها (جماعة التضامن الأخوي)، و ناس قالت (جمعية مصر الفتاة)، وناس قالت (جمعية اليد السوداء)، بس أيًا كان يعنى، أهو كان منضم لجماعة سرية وخلاص.
بس فيه ناس حالمة بقى افرطت في الزعم وقالت انه جماعة التضامن الأخوي دي كانت تعتبر نواة للأخوان المسلمين بعد كدا. المهم الواد كان ثورجي وقعد يسمع لترهات الحزب المثالية عن السلمية، وبعيونه شايف البلد بتتنهب، ورجالة الخديوي خانعين للاحتلال، وبطرس مبوظ الوطن بقرارته الزفت.. الولد بيّت النية، وفى جلسة المجلس العمومية رقد لبطرس عند الزاوية، ولما خرج اداله الست رصاصات!! بعد ما اتصاب الباشا ووقع على الأرض والدنيا هاجت اتقبض على إبراهيم فورا واتقيد وودوه على قسم عابدين. أما المجني عليه، فجابوا له دكتور كان متواجد في محيط المكان اسمه سعد الخادم وحاول يخرج أي رصاصة منه، ولقى الموضوع كبير وبطرس باشا بيغيب عن الوعي، فقالهم لازم ننقله فورا لمستشفى.
بس ونقلوه على مستشفى ميلتون في باب اللوق جنبهم على طول، واتعمل كونسلتو من ١٥ دكتور من الكبار، وانقسمت الآراء نعمل عملية حالا ولا منعملش؟ وفى الآخر قالوا حالته صعبة لكن لازم نخرّج الرصاصات. وعملوا العملية، وخرج على اوضته، وكان بيفوق أوقات ويقول حبة حاجات ويرجع ينام تاني، وكمان الخديوي عباس اتأثر قوي وراح زاره في المستشفى. بعد ما مشي الخديوي عباس اتدهورت حالة بطرس - بعد ما كانت استقرت- وحرارته ارتفعت، وهو سواد الليل ويوم ٢١ فبراير كان بيطلع في الروح، وبينقل عنه انه قبل وفاته قال الآتي:

(يعلم الله أني ما أتيت أمراً يضر بالبلاد. لقد رضيت باتفاقية السودان رغم أنفي، وما كان يمكن أن أعترض، ويسندون إليّ حادث دنشواي ولم أكن منها ولا هي مني، ولكنها أقوال سادت فأساءت، إن هي إلا غباوة ضعيف صارت وقوة قدير بطشت فتوسطت بينهما كما توسط المصلح بين المتخاصمين فنالنا من شرها ما نال، أما عن قانون المطبوعات فهذا عهد كونه لم ينفذ، وإنه من اختصاص نظارة الداخلية، أما أعمالي في المحاكم فليس فيها ما يؤخذ عليّ، لذلك تفضل عليّ المنتقدون فضربوا عنها صفحا، وكذلك مجالس المديريات وحضور النظار مجالس الشورى وتبادل الآراء بين النظار والأعضاء.. كلٌ على قدر وسعة واختياره وعلمه وفضله)

واخيرا قال:

(فليعلم الله والناس أني ما أوتيت في ذلك ما يضر بلادي)

ودي كانت اخر كلماته قبل ما يموت، وكل دا واحنا في المستشفى وبنحاول نلحق المجنى عليه، بس كانت الدنيا اتقلبت اول ما اتأكد خبر الوفاة

الحادثة كانت تعتبر تقريباً أول اغتيال سياسي يبدأ بيه هذا القرن بعد حادثة اغتيال سليمان الحلبي لكليبر أيام الحملة الفرنسية من قرن فات....!

ودلوقتي عندنا جبهتين، جبهة القصر والانجليز ورجالتهم المخلصين في ناحية، وجبهة الشعب والحركات الوطنية في ناحية

على الصعيد الرسمي، عقد مجلس النظار برئاسة الخديوي في عابدين جلسة طارئة وقرروا تعطيل نظارات الحكومة وجميع مصالحها والمدارس الأميرية إلى أجل غير مسمى، ونكسوا الأعلام على الثكنات العسكرية ودور الحكومة حداداً على الفقيد، وتقرر تشييع جنازة مهيبة برعاية افندينا اللي راح شخصيا يعزي اهل بيت بطرس، وخرج الجثمان الساعة ١١ من مستشفى

ملتون بباب اللوق في طريقه للكنيسة المرقسية ومنها إلى دير أنبا رويس المثوى الاخير. وبيقال ان النعش اتشال من الكنيسة لحد المدفن على عربية بيجرها ٨ حصنة ووراها ١٢ عربية عليها اكاليل زهور، والناس خرجت تتفرج على الموكب المهيب والمحلات والبنوك والقنصليات قفلت أبوابها، والكنايس دقت الأجراس، ومشي في الجنازة باشوات وكبارات وكانت لحظات مشدودة للكل تنبىء بما سيحدث بعد قليل من عواصف.

اللطيف بقى ان موفد من الجيش الإنجليزي بعت عربية من عنده عشان تشيل جثمان بطرس باشا لحد مدفنه. أسرة الباشا رفضت وقالت عربية افندينا موجودة، واتدفن الراجل مع سيفه ونياشينه، وحضر الأمير محمد علي توفيق بالنيابة عن أخوه عباس حلمي، وخلصت نص المشكلة.

☪ ☪ ☪

نرجع بقى لإبراهيم اللي عايش ونشوف عملوا فيه ايه؟!

الجدع بعد ما اتقبض عليه عند وزارة الحقانية اخدوه فورا على جوا، وفتحي زغلول سأله فورا وقبل حتى ما يفتح المحضر معاه: ليه عملت كدا؟

قال إبراهيم: (**لأنه كان خائن للوطن**) بمنتهى البساطة يعني!!!

قتلته عشان الآتي:

١) رئاسته لمحكمة دنشواي

٢) توقيعه لاتفاقية السودان

٣) إعادة اصداره لقانون المطبوعات

٤) عرضه لمشروع قناة السويس الجديد

٥) وعشان اهانته للحركة الوطنية ف مصر

أصل بطرس غالي طلع يقول انه ضد الفوضى والفوضويين، وانه لقح كلام كدا عن المعارضين انهم بتوع تخريب، والكلام زعل إبراهيم فقرر يقتله.

بعد ما اتقبض على إبراهيم، اعترف فورا وبكل فخر، ومضى على إقرار باعترافاته كاملة، وحرص انه يأكد ان مكانش له أي شركاء بالمرة، لأنهم لموا زمايل له في الحركة السرية بتاعتهم اللي كانوا عاملينها، واتهموهم بالمشاركة في الجريمة، واتحولوا للنيابة فعلا بس طلعوا براءة بعدها. وإبراهيم كتب اعتراف للتاريخ نصه الآتي:

(أنا الذي قتلت بطرس باشا كبير الوزراء المصريين في يوم الأحد الساعة واحدة إفرنجي مساء، لاعتقادي أن الرجل خائن لوطنه وأن سياسته ضارة لبلاده، ولست أسفاً على ما ارتكبته لأني أرى ذلك خدمة في بلادي)

انتهى

واتحولت الجناية رقم ١٤ عابدين ١٩١٠ الى محكمة جنايات مصر عشان يتهم الورداني بالقتل العمد مع سبق الإصرار، واللي كانت جريمة عقوبتها الإعدام، والمحكمة كانت مكونة من: مستر دلبروغلو، وبعضوية أمين بك علي وعبد الحميد بك رضا، اما النايب العمومى فكان:عبد الخالق ثروت

اما الدفاع فكان الآتى:

أحمد بك لطفي السيد

إسماعيل شيمي بك

محمود بك فهمي حسين

محمد علي علوبة بك

محمود بسيوني

أحمد عبد اللطيف بك

مصطفى عزت

وشوفوا القدر.. ييجي إبراهيم الهلباوي، الشهير بجلاد دنشواي، عشان يحاول يمسح موقفه القذر في دنشواي بأي طريقة ويكفر عن ذنبه، فراح للورداني وعرض عليه خدماته، إبراهيم اشترط عليه انه يبدأ مرافعته بإبداء الندم على خطيئته في حق فلاحين دنشواي وفى حق مصر، فالهلباوي وافق فورا!

القضية قضية رأى عام والدنيا مولعة برا المحكمة اكتر من جواها،
ونتفاجىء ان الموضوع اتنقل من اغتيال شاب مصري لرجل في الحكومة الى فتنة طائفية في أيام!! الإنجليز قرروا يحولوها لكدا وطلعت مثلا "الايجيبشيان" تقول أن:

(الورداني وهو يقتل بطرس غالي كان يُجهز في الوقت نفسه على الوطنية المصرية في مصر)

والمعتمد البريطانى في مصر قال ايه:

(اغتيال بطرس غالي غير مرضٍ، وأن إنجلترا يجب أن تُظهر في مصر القوة، وأنه إذا استمرت موجة العداء ضدنا فلن نمضي قدماً في تهيئة المصريين لحكم أنفسهم، فنحن في مصر أوصياء على أبناء مصر وأوصياء عن أوروبا وأوصياء عن العالم).. ضحكة رقيعة.

الجرايد بقى كل واحد وانتمائه لحزب أو رأي، وكله بقى يضرب في بعض، اصله اتقتل عشان مسيحي، لأ ده اتقتل عشان عمايله السودة، لأ اصلهم ارهابيين، ونزل شوية ناس في الشوارع وقعدوا يهتفوا **(سلم إيدين الورداني قتل بطرس النصراني)**، فالناس فهمتهم ونزل ناس تانية قصادهم تعلي على الهتاف بهتاف: **(تسلم إيدين الورداني قتل بطرس البريطاني)** والأمن اتشدد وبقى فيه قلق من حدوث مواجهات.

سعد زغلول قال ان حادثة الورداني دي فتحت الباب للفتنة بين عنصري الأمة، ومتقفلش بحق وداب كل الخلاف إلا في ثورة ١٩ لما الأقباط والمسلمين اتلموا سوا في المظاهرات ونزلوا الشوارع عشان يقطعوا السكة على المحتل، ومحمد فريد قال بعدين في مذكراته انه مكنش عارف بموضوع إبراهيم وان عملية الاغتيال كانت بعيدة عن الحزب ولا كنا نعرف حاجة عنها.

شيخ الأزهر بقى لازم يدلي بدلوه فقال: (**إن ذلك المسيحي (بطرس غالي) عمل من الخير للمسلمين ما لم يقدر على عمله كثير منهم**)

المهم.. الجلسات ابتدت في أول ابريل والقضاء مستعجل أوي عشان يحكم على الجدع، وإبراهيم واقف زي الأسد في القفص، والمحامين بتوعه كانوا ناس محترمة وحاولوا يعملوا أى منظر ملقوش أى حاجة يقولوها الا ان بطرس مات بسبب العملية مش من ضرب الرصاص!! وقالوا لولا العملية اتعملت في وقت حرج وغلط كان زمانه عايش، وانه كان فايق لحد ما جاله الخديوي.

الملخص انه أقر واعترف بكل حاجة وبخط ايده خلاص مفيش فايدة، وفى الاخر ملقوش غير انهم يقولوا انه كان مش متزن لحظتها. القاضي مهتمش لطلبهم باحالة المتهم لمستشفى الامراض العقلية والكشف عليه، وكانوا بيحاولوا يكسبوا وقت غالبا لكن المحكمة كانت اصدرت حكمها مصرة إلحاحا على عقابه سريعا.

فى ١٨ مايو ١٩١٠، تم احالة اوارق إبراهيم ناصف الورداني إلى فضيلة مفتى ديار المصرية الشيخ "بكر الصدفي"، وفريق الدفاع عن إبراهيم طعن على الحكم، وفى الجلسة اللي بعدها الشيخ الصدفي فاجىء الجميع برفضه انه

يصدر فتوى شرعية بإعدام المتهم، ومش بس كدا، دا طلب بالأوراق انه يتم إحالة المتهم للمستشفى للتأكد من سلامة قواه العقلية قبل ان يفتي باعدامه من عدمه، والخبر انتشر.

وفجأة طلعت أقاويل ان المفتي رفض يصدّق على حكم الإعدام عشان اعتبر ان شرعا لا يجوز قتل مسلم بدم كافر، وطبعا حد استغل ثورة بعض الأقباط وقعد يقول المفتي مع الورداني عشان مسلم، والقبطي لا تمن له.. الخ

لكن الحقيقة ان المفتي كان عاوز يتحرى الحقيقة كاملة ويتأكد ان الولد مش مختل. والمذهل واللي بينفي ان الحكاية طائفية ان "عبد الخالق ثروت" النايب العمومى المسلم طالب بالإعدام لإبراهيم قائلا: (**الجريمة المنظورة أمام المحكمة هي جريمة سياسية وليست من الجنايات العادية وأنها بدعة ابتدعها الورداني بعد أن كان القطر المصري طاهرا منها**)

بينما احد الأقباط واسمه "مرقص حنا" لما لقاهم بيقولوا ان إبراهيم احتمال يكون مختل أو متعصب للإسلام فكتب يقول:

(أنا أعرف الورداني شخصياً، فهو فتى شديد الذكاء كثير المعارف، ملأت صدره الوطنية الحرة، وليس شخصاً متعصبًا، وأنا بصفتي قبطياً - أعني مصرياً مسيحيا، أصرح بأن حركتنا هي حركة وطنية مجردة وما تهمة التعصب الإسلامي إلا من إشاعات الإنجليز التي يشيعونها ليبرروا المظالم التي يرتكبونها في مصر)

المهم.. المحكمة قررت تجاهل كلام المفتي وصدّقت على حكم الإعدام، فالرأي العام انشغل اكتر، وفى اسكندرية حدث الآتي: اتعملت عريضة بالتنديد بالحكم والمطالبة بوقفه، واتمضى عليها من عدد كبير من الجاليات

الأروبية فى اسكندرية، يعني لا مصريين ولاحاجة، بس ناس كان عندها "بواقي ضمير"!

راح المعتمد السامي البريطاني اتغاظ جدا، وبعت للقناصل في اسكندرية وقالهم محدش يستلم عرايض ولا بتاع، وإمعانا في وأد القضية طلع قرار بمنع نشر صوره ويقال انه سرى هذا القرار لحد ما قامت ثورة يوليو!!

وشوفوا المهزلة...الاغتيال حصل يوم ٢٠ فبراير، بطرس غالي مات يوم ٢١ فبراير، التحقيقات اخدت شهر مارس كله، المحكمة بدأت في اوائل أبريل، الحكم في نص مايو كدا، وفى ٢٨ يونيو هيتم تنفيذ الحكم، والخبر هينتشر بسرعة كالنار في الهشيم، وإبراهيم الورداني هيتعدم خلاص. والناس حزنت جدا وطلعوا بموال بيقول...

قولوا لعين الشمس ماتحماشي

احسن غزال البر صابح ماشي

وغنوها في الشوارع وهما بيقولوا لبعض يا ميت صباح الفل ع الورداني.

وفى محبسه في سجن الاستئناف، ييجي وكيل المحافظة والحكمدار وطبيب السجن والمأمور، وعند غرفة الإعدام يحضر إبراهيم ناصف الورداني، والساعة ٦ الا عشرة يقرا المأمور حكم الإعدام عليه ويوقفوه ويلفوا الحبل حوالين رقبته ويقولوله اتشاهد يا ابني، فيتشاهد غزال البر وتكون اخر كلماته في الدنيا:

(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الحرية والاستقلال من آيات الله)

واتنفذ الحكم ومات الجدع وخرج من سجن الدنيا ودخل التاريخ من باب العزة والكرامة والحرية

ونقلوا الجثمان لمكان مخصص عشان يشرحوه حسب العادة المتبعة ويغسلوه ويكفنوه وبعدين اتاخد لمقابر اسرته في الامام الشافعى عشان يرقد هناك ابن الـ ٢٤ ربيعا في هدوء.

عمدة المؤرخين



ونختم حكاياتنا من عند راجل من اللي أثروا الحياة التاريخية بالعديد من المؤلفات وهو: "تقي الدين المقريزي"
احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن ابى الحسن بن عبد الصمد بن تميم التقي أبو العباس بن علاء بن المحيوى الحسينى العبيدي"
واخر اسمين دول اللي بيدلوا على أصول المقريزي اللي جده من أهل الشام، وتحديدا.. بعلبك
ويرجع نسبه الى آل عبيد وجدوده كانوا فاطميين متأصلين، لكن الجد اللي من حارة المقاريز في بعلبك، وكان من رجال الحديث هناك، هيبعت ابنه على مصر،
والإبن هيسافر على مصر ويقعد فيها ويخلف أحمد اللي هيشتهر بعدين بين الناس بتقي الدين المقريزي.
الناس الجميلة دي هيسكنوا في حارة برجوان، اللي قعدت لفترات طويلة في زمن الفاطميين هي وما حولها سكن علية القوم والوزراء الخ.. ونركز بقى كويس ف التواريخ الآتية
حيث انه المقريزي اتولد ١٣٦٤م ومات ١٤٤١ م، وفى الفترة دي عاصر في طفولته وشبابه وشيخوخته سلاطين مماليك كتير
المقريزي عاصر الآتى:
١) المماليك البحرية
زين الدين شعبان، علاء الدين علي، زين الدين حاجي
ثم
٢) المماليك البرجية

الظاهر سيف الدين برقوق، الناصر فرج بن برقوق ١، المنصور عبد العزيز بن برقوق، الناصر فرج بن برقوق ٢، المستعين باللهّ أبو الفضل العباسي، المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي، المظفر أحمد بن الشيخ، الظاهر سيف الدين ططر، الصالح ناصر الدين محمد بن ططر، الأشرف سيف الدين برسباي، العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي، الظاهر سيف الدين جقمق.

طبعا فيه سلاطين في دول مقعدوش كتير، وفي ناس قعدت ١٠ و١٦ سنة، وفى ناس اتشالت ورجعت زي فرج بن برقوق، وناس اتقتلت، وطبعا أغلبهم مات مقتول إلا فيما ندر اللي مات على سريره وساب العرش لابنه بهدوء.

المهم المقريزي اتولد في عهد السلطان شعبان، ومات ف عهد السلطان جقمق، والشاب اللي كان شيعي الهوى وسني المذهب شانه شأن أبناء الطبقة الوسطى انذاك راح يتعلم في الأزهر، جامعة هذه الأيام ومقصد أي شغوف بالعلم، ودرس علوم الدين في مجيء شخص مهم من شمال افريقيا كان اسمه.. "ابن خلدون"، وهذا الرجل لجأ لمصر هربان من البطش في وطنه، وقرر يقيم ويدرس في الأزهرويعمل حلقات دراسية ونقاشية مختلفة.

المقريزي هينتبه لهذا الوافد الجديد وكلامه يحرك دماغه، فيبقى من تلاميذه النجباء، وزي ما قالوا كده المقريزي انتمى لمدرسة ابن خلدون الفكرية. كان عاجبه فيه ثوريته على الأوضاع الغلط، وبعد ما خلّص دراسة جه وقت الشغل، وأول وظيفة استلمها المقريزي كانت في ديوان الانشاء بالقلعة، مكان ما كان والده شغال زمان.

ديوان الانشاء دا، والعهدة على الراوي، كان يوازي وزارة الخارجية في زماننا الحالي، عشان كده مكنش بيشتغل فيها الا الناس النضيفة الحلوة والمتعلمة قوي طبعا

المهم الشاب كان شاطرفى الادب والتاريخ وتقويم البلدان والحساب فشغلوه، وبعد شوية لفت الأنظار اكتر فاتعين نائب حاكم، وبالبلدي كدا.. قاضي

المقريزي اتعلم على المذهب الحنفي، لكن سابه ونقل القناعات للمذهب الشافعي، وبعد شوية هيمسك الإمامة في جامع الحاكم، ودي وظيفة كان لها شأن، والأهم من كل دا ان ابوه كان فرحان جدا بالحكاية دي لأنه وهو صغير لما راحوا مصر ودخلوا جامع الحاكم قاله جملة منسيهاش أبدا.. قال له (هذا جامع جدك)

أيضًا كان خطيب لجامع عمرو فترة من الزمن، وكذلك تولى الخطابة والإمامة بمسجد السلطان حسن.. الظاهر انه كان شاطر ولا ينقصه جنب البلاغة الحماسة وجذب المستمعين. بعد شوية هياخدوه يدرّس الحديث في جامع المؤيد وهيبقى له حلقات دراسية وهيبقى زي استاذ جامعة كدا بأدبيات العصر الحالي، وقصة التدريس دي تمت بتوصية من ابن خلدون شخصيا اللي رعاه كتلميذ نابه ووصى عليه السلطان برقوق اللي كان ماسك الحكم وقتها.

بعد كل الشغلانات دي المقريزي هيدخل في جو تاني خالص وهيتعين في الحسبة ١٣٩٨م والمحتسب بقى قصة تانية خالص.

المقريزي اتعين محتسب للقاهرة والوجه البحري، ودي وظيفة زي مفتش التموين كدا بس على صلاحيات اكبر وأسخف وأبشع أحيانًا، خصوصًا في أيام المماليك اللي أغلبها أيام ظلم.

الشغلانة كان من ضمن مواصفاتها النزول للأسواق ومراقبة البيع والشرا وعقاب المخالفين وسماع شكوى المستهلك ومحاربة الغش وتثبيت الأوزان والمكاييل وسن قوانين وعرض قضايا وهم كبير، لدرجة ان المقريزي من كتر النكد اعتذر عن الشغلانة دي سنتين ورا بعض يقدم استقالة وتترفض!

فى خضم الفساد والفوضى العارمة اجتاح القاهرة طاعون شرس ١٤٠٣ م، والمقريزي كان عنده بنت وحيدة عمرها ٦ سنين وماتت، وبعد فترة من الحزن والإنزواء صدرله قرار تعيين من السلطان برقوق بأنه يدرّس في المدرسة الأقبالية والأشرفية لكن المرة دي في دمشق، فالمقريزي هيسافر سنة ١٤٠٨ دمشق ويقعد فيها شوية ويدرّس، ثم يمسكوه نظارة البيمارستان النوري، ودا واحد من اكبر مستشفيات زمانه.

فرج ابن برقوق هيمسك مكان أبوه، فيعين المقريزي نائب حاكم يعني قاضي لدمشق، والمقريزي مش هيعجبه القصة دي ويستعفى ويمشي من الشام كلها ويقرر يرجع على مصر. وفى وسط السكة يقرر يروح يحج فيشد الرحال إلى بيت الله، وبعد الحج يقرر يقعد هناك يدرس شوية، والشوية دول بقوا ٥ سنين، وفي النهاية يرجع على مصر عشان يستقر اخيرا في حارة برجوان حيث الحنين ابدا لأول منزل، ويعتزل العمل العام ويتفرغ للكتابة.

والحقيقة ان موضوع الكتابة التاريخية دا مجاش على كبر، وهو نفسه اللي بيحكي انه من صغره وهو بيسجل أى حاجة تيجي على باله زي ما بيقول:

(فقيدت بخطي في الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قلما يجمعها كتاب او يحويها لعزتها وغرابتها أهاب)

زائد تأثره بأستاذه ابن خلدون والتعلم في الأزهر وانفتاحه على ثقافات مختلفة في مذاهب عدة وتواريخ كمان عدة، والمتابع لتاريخنا ببساطة يقدر يوصل لنتيجة هامة ألا وهى ان تاريخ الفاطميين والمماليك هما اكتر فترتين مليانين ثراء ومتعة وغرابة، وهو عاش فترة منهم وسمع عن التانية ونقب في كل الفترات. وزي ما قلنا في البدايات كان فيه ناس قبله مؤرخين كتر وشدوه في السكة دي باللي سابوه.

فترة المقريزي كان فيها معاصرين له على مستوى عال زي "ابن حجر العسقلاني" اللي كان صديقه، وفيه تلامذة نجباء ، وآخرين مش تلامذة لكن برضو شطار. وجوده وسط اسماء كبيرة زي "ابن تغري بردي" و "السيوطي" و "السخاوي" و "ابن حجر العسقلاني" وقبلهم "ابن خلدون" خلاه يلمع اكتر ويتوهج ويبقى من اساطين المجال لأن المناخ كان مشجع وبيدفع للتألق.

مؤلف الكتاب اللي بحكي منه بيلّمح لنقطة مهمة جدا، وهى ان في هذا الزمن الأغبر بتاع المماليك كانت الحتة الوطنية مشتعلة في القلوب بشكل ما، يعني محدش في المؤرخين وقتها مثلا وقف في وسط ميدان التحرير وهتف مصر هتفضل غالية عليا والكلام دا، لكن كان واضح في كتاباتهم الميل الوطني. كانوا بيتكلموا عن مصر بشكل مختلف حيادي في العرض جايز لكن كان فيه انتماء مستتر، مظهرش بشدة الا بعدين لما جه الجبرتي وكان عمدة الحماسة والوطنية وكان بيدين الغزاة اللي من برا واللي من جوا بكتاباته

المقريزي بيقول بنفسه:

(وكانت مصر هي مسقط رأسي وملعب أترابي ومجمع ناسي، ومغنى عشيرتي وحامتي، وموطن خاصتي وعامتي وجؤجؤي الذي ربى جناحي في وكره، وعش مأربي فلا تهوى الأنفس غير ذكره، لا زلت منذ شذوت العلم واتاني ربي الفطانة والفهم،ارغب في معرفة اخبارها وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها)

شايفين جمال الكلمات

والحقيقة انه يبدو من سيرة حياته انه كان قرفان من أحوال السلطة وحكامها وتركه للوظايف اللي كان غيره بيدفع فيها فلوس عشان يقعد فيها ويتربح دليل في اكتر من موضع، وكان بيقول رأيه بصراحة في العالم دي وخد عندك:

(صارت المماليك السلطانية أرذل الناس، وأدناهم، وأخسهم قدرا، وأشحهم نفسا وأجهلهم بامر الدنيا، وأكثرهم إعراضا عن الدين، ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد، وألص من فأرة، وأفسد من ذئب، لا جرم ان خربت مصر والشام حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات بسوء أيالة الحكام، وشدة عبث الولاة، وسوء تصرف أولي الأمر)

الراجل بيشتمهم علني بحكم انه عاصر زمانهم وانكوى بنارهم بموت بنته في طاعون كان شدته سببها اهمالهم وسوء تدبيرهم وبيشرح اهو:

(فأذا تأملنا الحادث من بدايته إلى نهايته، وعرفناه من أوله إلى آخره عرفنا ان ليس بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد)

المهم.. المقريزي بدأ في تسجيل الحوادث وكتابة الأفكار من وهو لسه شاب، لكن الشغل والتدريس اخدوه لحد ما سافر دمشق والمناخ هناك سمح

بالتفرغ شوية للكتابة أيام الروقان. ولما كمان سافر المقريزي على مكة يقال انه ألف فيها كتابين صغيرين كدا على السريع. لكن لما رجع مصر بدأ مشروع العمر وأهم انجازاته قاطبة.. "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" واللي كتبه واصفا فيه شكل القاهرة وغيرها، الشوارع والبيوت والمساجد والأسواق، إلى جنب الوصف كان فيه حكايات تخص الأماكن والناس، الخطط ضمت مصر بكل معالمها وناسها وأسواقها ودورها وجوامعها ورياضها ومدارسها وكل حاجة، واشتهرت بالخطط اختصارا للعنوان، يعني بقت تعرف بالخطط المقريزية، وصحيح الخطط دي كأسلوب كتابة كانت منتشرة ومكنش المقريزي هو اول واحد يعملها، لكن خططه كان لها الحضور عبر التاريخ واتخلدت فيها بعد لدقتها.

جنب الخطط اللي كانت الأشهر كان فيه كتب تانية. السخاوي مثلا بيقول انه قرأ للمقريزي ٢٠٠ مجلد بخط ايده! الراجل كان غزير الانتاج ونشيط بس اللي وصلنا مكنش كتير ولا كل حاجة، لكن أشهر ما وصل

❋ السلوك لمعرفة دول الملوك

❋ كتاب المقفى

❋ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة

❋ اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء

❋ البيان والإعراب عما في مصر من الأعراب

❋ عقد جواهر الاسفاط في أخبار الفسطاط

ودا محدش قراه.. موصلناش لكن كان عن تاريخ الفسطاط وأعلامها وناسها.. للأسف ضاع

خطط المقريزي كانت درة التاج، لكن كتبه التانية مكنتش أقل اهمية، خصوصا عن تاريخ الفاطميين، وكتابه إغاثة الامة بكشف الغمة اللي كان موجز وبليغ في عدد قليل من الصفحات استعرض النكبات اللي مرت على مصر في تاريخها من مجاعات وقحط، ثم استعرض أسباب المحنة الحالية وكتبلها روشتة علاج مستعين في ذلك بخبرته السابقة كمحتسب شاف وعرف قد ايه فيه فساد وإن السلم لازم يتكنس من فوق عشان ينضف.

وفى عرضه لحكاية الطاعون وغيره من كوارث طبيعية الحكام برروها بأنها مصايب من فوق وايش يعملوا هما كتب الآتي:

(المجاعات وأمثالها ليست شيئا مفروضا على الانسان من ينزل بأمر ويرتفع بأمر، كما انها ليست ناجمة عن جهل الطبيعة وعماها دون ان يكون للانسان نصيب فيها، بل هي ظاهرات مادية اجتماعية لم تلازم البشر دائما ولكنها تقع آنا وتنقطع آنا اخر، تقع عندما تجتمع أسبابها ودواعيها وتنقطع عندما تنتهي المسببات والدواعي)

والمقريزي بحكم شغله ووظايفه الكتير شاف الطبقات كلها من أول علية القوم اكبر راس زي برقوق الأب والأبن والمؤيد شيخ والوزراء والأمراء والعسكر وخلافه، وشاف التجار وأصحاب الحرف والمهن من أعلاها لأدناها، ودخل في زوارقها وعرف عيوبها وكل ما فيها. سمع لشكاوى الناس.. أحزانهم ومصابهم لما كان قاضي وشاف كمان العيوب والسقطات، شاف المرض والفقر والجهل لما كان ناظر للبيمارستان في دمشق، ولما مسك الحسبة في مصر حضر اعياد المصريين واحتفالاتهم، درس في الأزهر وقرب من طبقة المثقفين والعلماء في هذا الزمن وشاف اطياف متنوعة منهم من شتى

بقاع الدنيا، وخطب في اكثر من جامع، وممكن نتخيل سمع كام استفسار وكام سؤال وعرف كم من أحوال الناس البسيطة العادية.

حكى عن المنشآت.. المستشفيات والمساجد والمنازل والثكنات والقصور والأسواق. حتى اللي محضرهوش تتبع سيرته وحكى عنه كأبرع ما يكون، كان وسط الناس ومنهم، مكنش منفصل في برج عالي وعايش في فقاعة، ناهيكم عن ان عصر المماليك كان ثري بكم ميلودراما مفيش كدا.. غدر ودم وشهوة وسلطة وظلم ومجاعات وحروب وبلاوي.

وجنب انه كان مثار تقدير واعجاب علماء عصره، فهو كمان بعد موته ولقرون تلت ولحد النهاردة هو واحد من أشهر وأدق مؤرخي عصره وتاريخ مصر الاسلامية، ومفيش حد ممكن يبحث في فترة تاريخية للمماليك والفاطميين وما كتب عنه المقريزي الا ويتم الرجوع اليه كأحد المصادر الثقات، وبراعة الوصف ورشاقة العبارة وأسلوبه المميز واللي تحس انه مكتوب في أيامنا دلوقتي مش بس الاحداث المتشابهة.. لأ الأسلوب نفسه كان سلس.

وشوفوا الراجل كان اسطى شاطر إزاي والكل بيشهدله قوم لازم يطلعلنا حد زي الخازوق ويذم فيه ويتهمه بالسرقة عينى عينك كدا، ودا يبقى "السخاوي" اللي كان من اشهر المؤرخين لتاريخ مصر، ووقت ما مات المقريزي كان السخاوي لسه يدوب بيقول ياهادي وكان عمره ١٤ سنة بس السخاوي حسبما قيل عنه كان ذكي ونبيه وشاطر، وكان تلميذ ابن حجر العسقلاني المؤرخ الكبير، واتعلم منه الشطارة لكن متعلمش الأدب، عشان بعد ما يدرس ويسافر ويروح وييجي ويعمل ما بداله ويشتهر في أوساط العلماء ويبقى له اسمه، بدل ما يحترم نفسه هيروح مألف كتاب عن أعلام

عصره عشان ينتقدهم بطريقة مش كويسة، والكتاب اسمه "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"، وحط فيه على المقريزي والسيوطي وابن خلدون وابن تغري بردي وغيرهم، وفي الفصل الخاص بالمقريزي قال الآتي:

(وكان حَسِن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين، ولذلك كثر له فيهم وقوع التحريف والسقط، وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو)

فى موقع اخر قال:

(وانه كان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها، وأما الوقائع الإسلامية ومعرفة الرجال وأسماؤهم والجرح والتعديل والمراتب والسيّر وغير ذلك من آثار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه)

طيب لحد دلوقتي بيعيب على خلفيته، وقال ايه كمان؟

(أقام ببلده عاكفًا على الاشتغال بالتاريخ، حتى اشتهر ذكره وبَعُد فيه صيته وصارت له جملة تصانيف كالخطط للقاهرة، وهو مفيد كونه ظفر بمسودة الأوحدي فأخذها وزادها زوائد غير طائلة)، الكلام معناه انه أخد مسودة حد تاني وعمل بيها الخطط المقريزية، ده غير كتاب تاني إسمه "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ"

هيكرر الجملة دي عشان اللي مقراش يقرا:

(وكذا جمع خططها المقريزي، وهو مفيد كما قال لنا شيخنا: انه ظفر به مسودة لجاره الشهاب احمد بن عبد الله بن حسن الأوحدي، بل بيّض بعضه فأخذها وزاد عليه زيادات ونسبها لنفسه)

هو بيقول ان المقريزي سرق مسودة الأوحدي وبيّضها، وعمل الخطط بتاعته. طب مين الأوحدي؟ وايه القصة بالضبط؟

الحكاية انه الأوحدي كان من المؤرخين برضو، عاصر المقريزي وكتب خطط لكن موصلناش منها حاجة، سمعنا عنها بس وضاعت في الوبا، ومتفهموش السخاوي جاب منين حوار ان المقريزي سرق المسودة بتاع الأوحدي وعمل بيها خططه؟! المؤسف انه بينسب القول دا لشيخه، يعني بيقول ان ابن حجر العسقلاني قال بعضمة لسانه الحكاية دي، ودا غريب جدا لأن الناس الحلوة بعد كدا بحثوا في الموضوع دا ولقوا العكس؛ العسقلاني كان صديق للمقريزي وقال عنه بالحرف في احدى المواضع انه: (**رفيقي الإمام الأوحد المطلّع تقي الدين المقريزي**)، زائد ان المقريزي نفسه في الخطط بتاعته، وعن طريقة كتابتها قال نصًا

(**اني سلكت فيه ثلاثة أنحاء وهي النقل من الكتب المصنفة في العلوم والرواية، عمن أدركتُ من شيخة العلم وجُلة الناس والمشاهدة لما عاينته ورأيته، وأما الرواية فعمن أدركتُ من الجُلة والمشايخ**).. يعني الراجل قال عمل إيه ومش بس فتحها في المطلق، دا ذكر الأسماء كلٌ في موضعه، كل ما كان بيقتبس من حد كان بيذكر اسمه، والجدع قال انه نقل عن مؤرخين كتير، وقالهم بالإسم "الكندي" و"القضاعي" و "بن بركات النحوي" و"الجواني" و"ابن عبد الظاهر" و"ابن المتوج" و"ابن عبد الحكم" و"المسعودي" و"ابن زولاق" و"المسبحي" و"ابن المأمون".

يعني الراجل كان موضوعي، زائد ان الأوحدي اللي بيحكوا عنه مات سنة ٨١١هـ بينما خُطط المقريزي استمرت كتابتها لحد قرب وفاته ٨٤٣ هـ، وحتى لو فرضنا جدلًا انه استخدمها ونسبها لنفسه، فهيكون استعان بجزء ضئيل جدًا منها،

ووقف عند حقبة زمنية بعيدة ومش مستاهلة يعنى سرقة!!

اللطيف ان السخاوي لما عمل كتابه "الضوء اللامع" حط نفسه ضمن أعلام عصره، وأفرد لنفسه فصل إنجازات، لكن في آخرين ردوا على السخاوي وفندوا المزاعم في زمانه، زي السيوطي اللي كان من المؤرخين التقال وقتها وحصلت بينهم معارك ادبية وخصومات بشعة.
السيوطي عمل كتاب سماه "الكاوي على تاريخ السخاوي " ومسكه غسله في الكتاب ده وأهو بيقول:
(ماذا ترون في رجل ألّف تاريخًا جمع فيه أكابر وأعيانا ونصّب لأكل لحومهم خوانا ملأه بذكر المساويء وثلب الأعراض، وفوق فيه سهامًا على قدر أغراضه والأعراض، هي الأغراض وجعل لحم المسلمين من جملة طعامه وإدامه واستغرق في اكلها أوقات فطره وصيامه، ولم يفرق بين جليل وحقير وامتد حتى إلى العلماء الأعلام)
وبعدين رماه بالجهل والحماقة، وبعدين اتهمه انه ظفر بمسودة لأستاذه ابن حجر العسقلاني، وانه استغل انه تلميذه وسرق المسودة وعمل بيها كتاب يعنى رد له التهمة في حجره. و"ابن اياس" كمان بتاع التأريخ بعد ٣٠ سنة قرر يرد على السخاوي وذكّره بجملة بسيطة كدا وسط الكلام قائلا: **(انه ألّف تاريخا فيه أشياء كثيرة من المساويء في حق الناس)**
المهم.. المقريزي بيقول قعد يتفرغ للكتابة والتوثيق وبس، وكتب في حاجات شتى لدرجة انهم لقوا له كتاب في الغناء وأحواله، وناس فاهمة بتقول ان خبرة المقريزي في الحسبة وعالم الأسواق والتجارة خلته يوصل لنظرية "ان العملة الرديئة بتطرد العملة الجيدة" دي من زمان في أحد كتبه، مش كدا بس.. جرأته وقوته وشدته في نقد الأحوال وسرد الأحداث تتحسب له أكتر ما تحسب ضده، خصوصا انه كان قريب من علية القوم

ومش بعيد عن غضبهم، وكان معرّض للبطش في أي لحظة والمماليك أصلا كانوا مجانين.

وبمناسبة الخطط والخناقات عليها والناس اللي عملتها بعدين، هييجي "علي مبارك" مهندس القاهرة الخديوية ويعمل خطط هو كمان ويسميها "الخطط التوفيقية" على وزن الخطط المقريزية

☪ ☪ ☪

واخيرا المقريزي مات عصر يوم الخميس ١٦ رمضان سنة٨٤٥هـ بالقاهرة، ودُفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوصية البيبرسية.

☪ ☪ ☪

المراجع والمصادر

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – ابن تغري بردي
- المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار – تقي الدين المقريزي
- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا – تقي الدين المقريزي
- بدائع الزهور في وقائع الدهور – ابن إياس الحنفي
- واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني – ابن زنبل الرمال
- الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة (١٧٩٨:١٥١٧) – د. محمود حامد الحسيني
- الخطط التوفيقية – علي باشا مبارك
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – سعاد ماهر محمد
- فضائل مصر المحروسة – عمر الكندي
- مؤرخو مصر الإسلامية – محمد عبد الله عنان
- أحياء القاهرة المحروسة – عباس الطرابيلى
- القاهرة منتصف القرن التاسع عشر – ادوارد وليام لين
- القاهرة – شحاته عيسى إبراهيم
- حكايات من دفتر الوطن – صلاح عيسى
- رجال مرج دابق – صلاح عيسى
- محمد علي وأولاده – جمال بدوى
- مسافر إلى مصر – محمد جمال
- زرافة محمد علي – مايكل إلين
- دراسات في التطور العمراني لمدينة القاهرة – فتحي حافظ الحديدي
- القاهرة جوامع وحكايات – حمدي أبو جليل